الجزء ٣ — المجلد ٧

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : آذار سنة ١٩٢٧ م — الموافق رمضان سنة ١٣٤٥ هـ

تاريخ الزراعة

« في بلاد العالم العربي »[1]

للبلاد التي يتكلم سكانها العربية اليوم ماضٍ أغر ومدنية موطودة الأسس قامت في وجه الدهر فعاركته آلافاً من السنين يوم لم يكن الا هي كوكب يسطع في حلك الجاهلية والوحشية . ومن عربة او جزيرة العرب موطن الساميين الاصلي نزحت أجيال عظيمة وأمم شتى في دهور واغلة في القدم فألقت عصاها في سقي الفراتين فنشأت كلدية وعيلم وآشور ، ومنهم من اكتسح ديار الشام فنشأ الفنيقيون والكنعانيون فليس إذن من الغريب ان يقول العالم مسيو رنجلمان (Ringelmann) « ان جزيرة العرب في التاريخ المترامي الآفاق كانكأس كلما امتلأت سال منها الى الشمال رجال » . وتمدن كلدية أقدم من تمدن مصر ولم ينشأ تمدن مصر في القرون القديمة الا على اثر موجة بشرية امتدت من كلدية الى مصر حاملة معها الحضارة والعرفان ولذا قال مسيو مورغان (Morgan) « أيقنت وانا في وادي النيل ان طلائع المدنية في اوائل عهد المملكة المصرية وردت من كلدية فيكون سقي الفراتين إذن مهد رقي البشر » . وقال المؤرخ الشهير مسبرو (Maspero) « لرسوس المصريين الاقدمين والعرب والفنيقيين والكنعانيين روابط تشد بعضها الى بعض وليس المصريون غير ساميين انفصلوا عن مهد الساميين قبل غيرهم » . ولقد كان من الواجب ان أبدأ خطابي بزراعة

(١) محاضرة ألقاها الأستاذ صاحب الامضاء في ردهة المجمع العلمي بدمشق بمناسبة انتخابه عضواً فيه .

أم العراق لولا ان تاريخ التمدن المصري القديم قد استبان قبل تاريخ الحضارة في بلاد الرافدين ولذا أبدأ بمصر على عهد اقدم ممالكها المعروفة اي منذ نحو ٦٠٠٠ سنة الى نحو ٥٠٠ سنة قبل الميلاد · ولا بد لي قبل ذلك من التنويه بان ما ألقيه عليكم أيها السادة ليس سوى رؤوس أقلام لان الموضوع فضفاض يملأ كتاباً برأسه ·

الزراعة في عهد المصريين الأقدمين — اشتهرت مصر على عهد الفراعنة بزراعة الحنطة والشعير والفول والبرسيم والكتان والقنب وكثير من البقول كما اشتهرت بغرس الكرمة واشجار الفاكهة · واهم هذه الاشجار مما رسموه على هياكلهم القديمة الرمان والمشمش والزيتون والدراق والتين والنخيل · وورد في التوراة ان العبرانيين بعد خروجهم من مصر أسفوا لفراقهم ما لذ وطاب فيها من الخوخ والبطيخ الاصفر والبصل والثوم · وقال هيرودوتس : « ان المصريين كانوا مكتفين بزرع الذرة البيضاء خاصة وانهم ما كانوا يخبزون خبز البر وزناً ، اما الفول فما كانوا يألفون زرعه وهم لم يزرعوه الا للاتجار والمقايضة » · وذكر غوستاف اوزه (G. Heuzé) ان المصريين كانوا يزرعون قصب السكر واللوبياء والباميا والقلقاس والخشخاش الذي منه يستخرج الافيون كما انهم كانوا يستخرجون الصمغ العربي من السنط النيلي · ولم يجد علماء الآثار اثراً للمنسوجات القطنية في اقدم ايام مصر لكن بلينيوس يقول ان القطن كان يزرع في مصر العليا ولعل ذلك في ايامه · واشتهرت مصر في نبات النيلوفر والقصب والبردي وكانت ساق البردي تبلغ خمسة امتار احياناً يستعملونها في البناء وفي صنع أحذية للكهان وفي غير ذلك · ومن الياف سوق البردي كانوا يصنعون الورق ·

وكانوا يربون البقر والمعزى والحمير والخنازير · اما الخيل والابل فما كان لها اثر في اقدم ايامهم بخلاف التمساح والكركدن ويظهر ان موجة العرب الرعاة الذين يدعون هيقسوس ساقت الخيل الى مصر في نحو القرن العشرين قبل الميلاد ولذا بدأت آثار الخيل تظهر في السلالة الثامنة عشرة · ولم تألف الخيل إقليم مصر بادئ بدء فكانت تمس الحاجة الى نقلها من الشام من حين الى آخر · لكنه اتى بعد ذلك زمن كان لتربية الخيل فيه شأن كبير حتى ان الملك سليمان كان في كل سنة يبتاع من مصر عدداً عظيماً من الخيل يستخدمها في قضاء حاجته او يبيعها من ملوك الحثيين وغيرهم ·

وكانوا يعتقدون ان الإلآه اوزيريس هو الذي علمهم صنع ادوات الحرث وتجهيز التربة وغرس الكرمة والأشجار المثمرة وحصد الذرة والشعير وان امرأته ايزيسا علمتهم الطحن والخبز والنسج وكانوا قبل ذلك نصف وحشيين يأكلون لحم الانسان و يقتاتون من ثمار الارض فالآله اوزيريس هو رب المحول والحراث عندهم ·

والمصريون الأقدمون من أقدر الشعوب على معالجة الارض العطشة بالإسقاء والارض المستنقع بصرف النقع عنها · ولهم حنكة في صنع الاسداد والحواجز لان ارضهم محلة لا تنبت ولا تكون مغلالاً الا اذا رويت بماء النيل ·

وكان القائمون باعمال الحرث والزرع العبيد والحمير والبقر ثم الخيل بعد حين · فالعبيد كانوا كثاراً رجالاً ونساء وجلهم أسرى يباعون مع الارض و يشرون ولهم حصة من المحاصيل كأنهم شركاء بالمزارعة ولكن مقسورون على العمل في الارض · ومن الغريب ان المصريين الأقدمين كانوا يكرهون الحمر و يضطهدونها معتقدين ان الشر متجسم فيها مع انها من انفع الحيوانات الدواجن · اما الابقار فكانت مقدسة فلا تذبح ولا تؤكل ولكن احتدموا غيظاً من اليونانيين عقب استيلائهم على مصر اذ شرعوا يذبحون الأبقار و يغتذون من لحومها · وقد كف المصريون عندها عن استعمال السكاكين خشية ان يكون اليونانيون عالجوا بها ذبح البقر ·

ومحاريثهم ومناجلهم شبيهة بامثالها اليوم · وكانوا يحصدون بالمناجل السبل وحده دون سوق الزرع لا سيما اذا كان الزرع متآصراً او مستأسدا · و يدرسون الحصائد دوساً بأرجل البقر الا الذرة فانهم كانوا ينزعون حبها بآلة لها أسنان كالمشط · وقيل انهم عرفوا النورج واستعملوه لكنه لم يعثر على رسوم قديمة تنم عنه · ومما لا ريب فيه انهم عرفوا الخميرة واستعملوها منذ أقدم ايامهم ·

ومساكن الفلاحين الاولى بيوت صغيرة من قصب · ثم بنوا بالخشب فبالطين والآجر · ولا شبابيك لبيوتهم غالباً وان فتحوا شبابيك فبالسقف لجريان الهواء · وكانوا يبنون البيوت قريبة بعضها من بعض فتتكون منها قرى مقسمة الى حارات · وندر بناؤهم بيوتاً منعزلة ·

اما من حيث الضرائب فكانت تجبى غلة · وجاء في التوراة ما يستنتج منه ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يوسف أوجد ديواناً للتموين وآخر للساحة والإحصاء وانه جبى الغلات ووضعها لا سيما الحنطة في مخازن عظيمة ثم فرقها في فقراء المصريين في سني المجاعة • وفي آخر سني الجدب جبى يوسف من المصريين خمس غلاتهم حتى كأن مصر صارت كلها ملكاً للدولة • وهو اول من اوجد مفتشين للزراعة ولبيت المال مع كل ما يتعلق بهم من نظار وجباة وكتاب وذلك لمعرفة مساحة المستغلات وجباية حصة الحكومة من المحاصيل على وجه الضبط •

و يفيد قبل انهاء هذه الخلاصة في زراعة المصريين الأقدمين ان اذكر اقوال بعض العلماء فيما كان يعرفه هذا الشعب العريق في المدنية من العلوم والمعارف • قال هيرودوتس ان الآلهة والعبادة والشرائع والعلوم والصناعات والتعاليم الاجتماعية كلها ولدت على شاطئ النيل • وجاء في الأساطير ان النبي موسى درس علومه في مصر وان ابراهيم هبط مصر لدرس مدنيتها • وقال رنجلمان ان مصر مهد العلوم والفنون وانه يعزى اختراع الحساب والهندسة الى المصريين • و يظن اسحق نيوتن (Newton) ان الآله توت وزير سيزوستريس هو الذي اوجد الهندسة لمعرفة حدود الارض واقسامها كما عادت المياه الى مجاريها بعد فيضان النيل • وعلى ذكر ذلك اقول انه لا يزال اقباط اليوم على دربة عجيبة في معرفة مساحة الارضين بالقصبة وأجزاءها دون استعمال اداة هندسية مهما تكن الارض متعرجة • وذكر اقليدس وغيره من علماء يونان غير مرة ان مصر مهد الهندسة • وقال ارسطوطاليس في فلسفته (ماوراء الطبيعة) « ان الرياضيات نشأت في مصر لان كهنتهم كانوا في معزل عن شواغل الحياة اليومية فأمكنهم الانقطاع الى الدرس » •

الزراعة في العراق •— قلت ان مدنية سقي الفراتين اقدم عهداً من مدنية مصر لكن ما استبان منها في عهد كلدية وعيلام وآشور لا تمتد الى ابعد من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، فكلامنا إذن يختص بزراعة أقوام العراق منذ ذلك العهد الى استيلاء الفرس سنة ٥٣٨ قبل الميلاد • وقلت ان سكان العراق الأصليين نزحوا اليها من جنوبي جزيرة العرب وكانوا يتكلمون لغة قريبة من الآرامية والفنيقية • وقد وجد في عيلام آثار ترجع الى ما قبل التاريخ اي الى عصري الحجر فالنحاس •

وكان الكلدانيون يعتقدون بوجود غول او آله اسمه نوود او اوانس (Oanès)

شبيه بالآله المصري بين اوزيريس ، منه يستمدون العلوم والآداب والصناعات والهندسة والزرع والحصاد وتشييد الأبنية والمعابد · اما الفلاحة فلها آله خاص اسمه نينيب (Ninib) · ويعتقدون بان البشر ما كانوا يعملون بما يوحيه نمرود اليهم ولذا انتقمت الآلهة فأوجدوا الطوفان · وقد نشر مستر سميث (Smith) صفائح وجدت في نينوى وردت فيها قصة الطوفان وفلك نوح ·

وكان سكان كلدية وعيلم وآشور يعرفون كثيراً من النباتات التي تزدرع ، و يرى كثير من علماء النبات ان آسيا الغربية وخصوصاً الشام والعراق وفارس تعد المهد الاصلي لعدد عظيم من اهم النباتات واعظمها فائدة للانسان كالحنطة والشعير وغيرهما ولقد نشرت منذ سنتين مقالاً في هذا الصدد ذكرت فيه انه عثر على الحنطة البرية جنوبي الشام منذ عهد قريب وانني التقطت منها كثيراً من السنابل · ومما كان يزرع في العراق الفول والعدس والحمص والحلبة والجلبان والخشخاش والكتان والسمسم والخروع والقرطم والفوه والخس والهندبا والاسباناخ والرجلة والقرنبيط والجزر والبصل والثوم والباذنجان والباميا والبطيخ · وفي آثارهم رسوم شبيهة بالدلب والسنط والسرو والطرفاء · واشتهر من الاشجار والشجيرات المثمرة الخوخ والمشمش والكرز واللوز والتفاح والرمان والتين والكمثرى والزيتون والكباد والفستق والنخيل · قال توفراستس انهم كانوا يغرسون الكباد ويسمونه تفاح ميديا او تفاح فارس · وقال استرابون « يسد النخيل كل حاجات الأهلين لانه يصنع منه نوع من الخبز ونبيذ وخل وعسل ورب ومائة نوع من الانسجة » هذا وكل جزء من النخل له فائدة فقد ذكرت في كتاب (الاشجار والانجم المثمرة) انهم يصنعون حصراً وسلالاً من وريقات الخوص وأسرة من الجريد ومكانس من مدقوق قواعد الجريد وحبالاً من الليف المحيط بهذه القواعد ثم ومن أعواد العراجين بعد دقها الخ ·

و يعرف سكان كلدية وعيلم بسكونهم وتنكبهم عن الشر وحبهم للفلاحة · وهم أوجدوا مدنيتهم من أساسها · اما الآشوريون فانهم اقتبسوا كل معارفهم عن الكلدانيين الا صنعة الحروب فلهم فيها حذق ودهاء وكانوا غزاة سفكة لا يرحمون احداً ·

وكان أقوام العراق في تلك العصور يعدون الارض ملكاً للآلهة ولمن يمثلهم اي

للملوك . وهؤلاء يهبونها لارباب الوجاهة وأفراد الشعب فيستغلونها او يبيعونها او يقسمونها بين ورثتهم . ومنهم من كانوا يستغلون الارض مباشرة وآخرون بواسطة عبيد مزارعين . وكانت ضريبة الارض تجبى غلة فتوضع في أنابير شيدت في انحاء البلاد يقوم عليها جيش من عمال بيت المال . وكانوا يخطون بالقلم المسماري علومهم واساطيرهم وما يهمهم حفظه في صفائح من طين تُملأ وترسل الى الخزافين فيشوونها فتصلب كل الصلابة اذ منها ما مر عليها ٤٠ الى ٥٠ قرناً وهي لا تزال جلية تسهل قراءة ما كتب عليها . قال المؤرخ مسبرو « وكان لكل ارض صفيحة من خزف دوّنت فيها مساحتها واسم صاحبها واسم اصحاب الارضين المجاورة لها وما فيها من القنوات والأنهار والبيوت الخ . وكثيراً ما كانوا يضيفون الى الصفيحة مخططاً يستبين به ما يشكل ادراك موضعه . وليس من الصعب بعدما ذكر ان يكون في مستطاع رجال بيت المال في كلدية وضع ضريبة الارض على أُسس وطيدة » . والكلدانيون من اهم الأُمم القديمة بمسح الارض ، فلم تكن معوجة فلقد كانوا يرسمون مخططات للمزارع والمدن وبلغ من جرأتهم ان حاولوا رسم مخطط للكرة الأرضية اولما كانوا يعرفون منها .

وذاعت شهرة الشرائع التي سنها حمورابي وهي ترجع الى نحو ٢٢٠٠ سنة قبل الميلاد . ومن ابحاثها المزارعة والاسقاء ورعي الماشية وقلب المحاقل مبافل واستيجار الرجال والحيوانات وادوات الزراعة وعقاب من يعذبون الرجال والماشية واجور العمال وشراء العبيد وحقوق السادة والعبيد المتقابلة والحقوق التجارية الخ وقد ذُكرت كل هذه المواضيع العمرانية المهمة بعدل وحكمة . وكانوا يحفظون هذه الشرائع وامثالها في خزانات مقدسة يتعاهدها الكهان اي علماء ذلك الزمان ، ويغلب على الظن ان اليونانيين اقتبسوا منها خلاصة ما تركوه للأعقاب في هذه المواضيع .

ومواشي الكلدانيين الأبقار المعروفة والأبقار ذات السنام والخيل والحمير . اما محاريثهم فشبيهة بمحاريث المصريين والمحاريث البلدية في هذه الأيام . وكذا آلات الحصاد والدراس .

واتى ملوك الكلدانيين باعمال عظيمة في إسقاء الارض فنحوا الانهار وشقوا منها الجداول لتتغلغل مياهها في الارض يمنة ويسرة . وتفاخروا باعمالهم هذه وأطلقوا

اسمهم على الأنهار كنهر حمرب الشهير · ويكفي اليوم ان تعاد هذه الانهار والجداول الى سالف عهدها حتى يصبح العراق من اغنى اقطار العالم · وكانوا يستخدمون الاسرى في حفر مجاري الماء وانشاء السدود والقناطر · وقد لبثت كل القني والمجاري تتعاهد وينتفع بها ايام الخلافات العربية الى ان اجتاحت البلاد جيوش التتر والمغول الوحشية ·

الزراعة القديمة في الشام وأثين ·— هبط الفنيقيون سواحل الشام الوسطى والشمالية آتين من شرقي جزيرة العرب فأوجدوا في صور وصيدا وبيروت وجبيل وغيرها مدنية ذاع صيتها بما اكتشف العلماء من الآثار في تلك الاماكن الشامية · وكان الفنيقيون من اشهر الامم في ركوب البحر والاتجار مع من جاورهم من الأجيال ولم يشتهروا بالحرث والزرع الا في شمالي افريقية كما سيجيء · لكنهم زرعوا الاماكن التي حلوا بها ورووا ما امكن إرواؤه منها فكانت سهول صور وصيدا الخصبة الريا بالماء تنتج اصناف الحبوب والثمار · وحذق الفنيقيون غرس الزيتون والكرم وصنع الخمرة حتى ان اليونانيين والرومانيين كانوا يرغبون في ابتياعهم · وعثر علماء الآثار في ضواحي صور على آلات زراعية اتم واقوى من الآلات الزراعية التي كانت يعرفها الشعوب المجاورون لهم · وجاء في مجلة العلوم الافرنسية « ان اهم الاعمال الزراعية التي اشتهر الفنيقيون بها هو تأليفهم في قرطاجنة كتباً قيمة تبحث في ما اتصل بهم من نتائج التجارب الزراعية لانهم كانوا يضعون نصب اعينهم استغلال الارض للحصول على غلات يتجرون بها · واشهر كتبهم كتاب الجنرال ماغون (Magon) الفه في القرن الخامس قبل الميلاد وسماه (الاقتصاد الزراعي) وهو ٢٨ جزءاً ولذا سمي ماغون اب الزراعة · والف هاميلقار (Hamilcar) ابن ماغون كتباً زراعية كابيه · وقد نقل اليونان والرومان هذه الكتب الى لغتهم ورجعوا اليها في ابحاثهم فكانت اهم مقتبس لهم · ولا شك ان الفنيقيين لم يتوصلوا الى ذكر ما دونوه في الزراعة الا بعد ان مارسوا الاعمال الزراعية قروناً عديدة وكتبهم هذه تدل على علو كعبهم في الفلاحة على ما فيها من ابحاث بعيدة عن الاسلوب اليقيني » ·

واذا انتقلنا في بحثنا الى ذكر العبرانيين او الاسرائيليين بعد ان نزحوا من مصر واستوطنوا جنوبي الشام قبل الميلاد ببضعة عشر قرناً نرى انهم كانوا ارباب زراعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يسيرون على ما اقتبسوه من مصر ابان مدنيتها الزاهرة . وقد كثر في جنوبي الشام على عهدهم غرس التين والزيتون واللوز والرمان والكرمة كما كثرت غلات الحنطة والشعير والقطاني وعدد من البقول . و يبالغ بعض المؤلفين من يهود او ممن يتعصبون لهم او ينقلون عنهم فيجعلون فلسطين جنات تجري من تحتها الأنهار لا سيما في عهد الملك داود حتى ان احدهم جعل مساحة الارض المكسوة باشجار الفاكهة في تلك الايام عشرة ملايين دونم تقريباً وهو وهم لا يقره العقل بعد محاكمة تاريخية فلسفية على أسلوب يقيني . والحقيقة التي عليها اكثر المؤرخين هي ان الاسرائيليين مع اشتغالهم في الارض قليلاً لم يوجدوا في الزراعة شيئاً يذكر وكذا في العلوم التي كانت معروفة في تلك العصور .

وسكن الشام اجيال كثيرة غير من ذكرناهم منهم المتوغلون في القدم كالعمو واللودانو ، وآخرون اقرب عهداً كالحثيين والاراميين والعموريين وغيرهم وقد انت الدهور على آثارهم فلم يستطع تدوين حالة الفلاحة في ايامهم .

ومن اقدم الامم التي حلت الشام وشادت فيها الممالك قبل الاسلام اجدادنا العرب . قال رئيسنا العلامة صاحب خطط الشام : « ان العرب في الشام منذ زهاء ٢٥٠٠ سنة واوصله بعضهم الى نحو ٤٠٠٠ سنة » واشهر دولهم فيها دولة النبط والغساسنة والتنوخيين والايطور بين ناهيك عن القبائل العديدة التي كانت تضرب في انحاء البلاد . فالنبطيون في البتراء وان لم يشتهروا بالفلاحة فقد الفوا قبل اليونانيين والرومانيين كتاباً زراعياً غاية في الجودة نقله احمد بن علي بن المختار المعروف بابن وحشية وقد صرح علماء الغرب بان هذا الكتاب هو الصلة الوحيدة بين زراعة الممالك الآسيوية القديمة وبين الزراعة الحديثة . وقال العالم الفرنسي رنجلمان « ان اول من دون الأعمال الزراعية التي البستها التجارب حلة فن ثابت هم الانباط » . وقال : « ان هذا الكتاب معلمة زراعية ثمينة » . وقد طالعته في خزانة بايزيد في القسطنطينية فألفيته سفراً قيماً لم يكتف فيه ابن وحشية بذكر ما يحتويه الاصل بل اضاف اليه كثيراً من الأبحاث الزراعية في ايامه . واهم ابحاثه استنباط المياه وهندستها وحفر الآبار واطلاع الماء من عمق قريب واختلاف طباع المياه واصلاح الضياع وتغييرات

الأهوية ودلائل مجيء المطر والأوقات الموافقة لضروب الأعمال والاراضي المحتاجة الى الإصلاح وغرس الزيتون وبعض الأشجار المثمرة وزرع الحبوب من حنطة وشعير وغيرهما وزرع كثير من البقول ومن النباتات الزيتية والليفية كالجزر والبصل والكراث والسمسم والكتان والخشخاش وزرع عدد من نباتات الأزهار والرياحين واشجار الزينة كالبنفسج والسوسن والنيلوفر والنرجس والأقحوان والياسمين والنسرين والأذريون والبهار والخزام والدردار والأزادرخت ·

ان من يجوب منكم ايها السادة مناطق الشام الشمالية الشرقية لا سيما ارباض سلمية والحمراء ومنبج يشاهد في بجواله قنوات عديدة تنساب مياهها مع انحدار الارض حتى تبلغ سطحها فتسقي ما اطمأن منها، ويرى ان كثيراً من القني لا يزال مدثوراً يلزم كريه وارجاعه الى سالف عهده فهذه القني القديمة يعزي بعضهم فتحها الى الفرس على اثر افتتاحهم الشام · ولا ريب ان للرومانيين ثم لأجدادنا العرب يدا في تزييد عددها لان انحاء سلمية كانت بساتين وغياضاً زاهرة في عهد الممالك العربية ·

ومما يلفت النظر جنوبي حمص بحيرة قطينة او بحيرة قدس والسد الذي قام في وجه العاصي لتحويل قسم من مياهه الى المدينة و بساتينها · فقد ذكر الأب لويس شيخو في مجلة المشرق انه ورد في تلمودي اورشليم و بابل ان الامبراطور ديوكلسيان (٢٨٤ — ٣٠٥ م) هو الذي سعى بحفر البحيرة واقامة السد · لكنه يرجح ان البحيرة اقدم منه عهداً · وجاء في تقويم البلدان ان سد بحيرة قدس هو من عهد الاسكندر الا انه لم يقم صاحبه دليلاً على ذلك · وللأمير جعفر الحسني مدير متحفنا رأي وجيه في هذا الصدد وهو انه اذا كان العلماء لم يستقر رأيهم على نسبة السد الى الرومانيين او اليونانيين مع ما يكون في آثار هذين الشعبين من الخصائص التي لا تدع مجالاً للشك في نسبة آثارهما اليهما، فلعل هذا السد من صنع الحثيين لا سيما وحمص كانت بيئة حثية محضة ·

هذا في الشام · ولنطفر الى قطر عربي عريق في عروبته بعيد عن الشام كل البعد وهو القطر اليماني حيث كان العرب الأقدمون يهتمون بشؤون الزراعة فلقد ذكر بلينيوس ان المعينيين يقيمون في بلاد كثيرة الغاب والأغراس · وقال استرابون ان

اخصب بلاد العرب هي بلاد سبأ وقال ان من محصولاتها المرّ والبخور والقرنفل والبلسم وسائر العطريات فضلاً عن النخيل والغاب . وقال الهمذاني ان في وادي ظهر في اليمن نحو عشرين نوعاً من الأعناب وفيه من أصناف الأجاص الفارسي والحميري والتين والكمثرى ما لا مثيل له في الأرض . وقال جرجي زيدان « ان من يجوب بلاد العرب حتى يأتي حيث كانت مدائن معين وسبأ وحمير وغيرها من الدول القديمة لا يرى اليوم الا رمالاً محرقة وجبالاً جرداء والحقيقة ان تلك البلاد كانت على عهد ذلك التمدن بساتين وغياضاً فيها الأغراس من الأشجار وفيها الرياحين والحنطة والازهار » .

ويوجد نقوش كثيرة في الحجر تدل على اشتغال عمالقة اليمن بحرث الارض وآثار اسداد ضخمة شادوها لجمع الأمطار ومعالجة الارض بالاسقاء . واضخم هذه الاسداد سد العَرِم او سد مأرب الشهير ويليه اسداد قصعان وربوان وشحران وعباد وغيرها .

الزراعة في عهد العرب بعد الاسلام . — العدل والأمن هما أساس الملك ودعامة العمران فبهما استطاع اجدادنا العرب ان يدوّخوا الممالك القديمة ويؤسسوا فيها مدنية عربية اسلامية سطعت انوارها يوم كان العالم سادراً في حلك الجهل وغياهب الهمجية ولئن عجبتم فاعجبوا لشعب بدوي جاهل يغزو ممالك عريقة في الملك فما هي الا رمشة عين في حياة الأمم واذا بهذا الشعب يحترم اديان المغلوبين وعاداتهم ويؤمن الخائف وينصر المظلوم على الظالم ويقر الناس على اموالهم وزرعهم وماشيتهم ويسوس الجميع بعدل وحكمة وحنكة ويترجم ويؤلف ويتعلم ويعلم ويسبق من كانوا قبله ومن عاشوا معه . حقاً ان الانسان اذا اعمل الفكر في هذا الشعب العربي اكبره .

وسّع العرب علومهم الأصلية في عهد الأمويين والعباسيين ونقلوا الى العربية علوم اليونان والفرس والهنود والكلدان والسريان والنبط واوجدوا مدنية شهد لهم اعداؤهم بعظمتها فماذا كان حظ الزراعة من ذلك ? هذا ما توخيت ان اوجزه في هذه العجالة . ان اول ما يهم معرفته حالة الارض وطرق تملكها وماوضع العرب عليها من الضرائب وما سنوه من الشرائع الزراعية .

كان المجاهدون العرب في اول الفتوح الاسلامية يودون لو جعلوا الارضين التي تقع بايديهم غنيمة تقسم بينهم كسائر الغنائم لكن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه جزم على المسلمين كما قال الماتريزي اقتناء الضياع والمزارع واجرى عليهم الرواتب والارزاق من بيت المال ولم يستثن عيالهم وعبيدهم ومواليهم . وذكر ابن عساكر ان اهل الذمة اذا اسلم احد منهم صارت داره وما كان يملكه من الارض الى اصحابه من اهل القرية وهم يؤدون خراجها . ومن السهل ادراك الغرض من هذه السياسة القويمة التي سار عليها الخلفاء الراشدون فلقد كان عدد المسلمين قليلا وكانت البلاد التي دخلت في حوزتهم مترامية الاطراف وكانوا الزموا انفسهم فريضة الجهاد ولهذا كان من الواجب الا تلهيهم الارض عن القتال في سبيل الغاية المحمودة التي انتدبوا لها وفضلوا الأقوام بها . أفلسنا نرى اليوم كثيراً من الحكومات الاوربية تمنع زواج الضباط الى حد محدود وتكف عن ارسال الجنود والضباط الى المستعمرات الابعاد خوفاً من ان يلهيهم الحنين الى ارضهم وما لديهم واولادهم عن القيام بما تستلزمه الجندية من الكد والتعب ومواجهة الاخطار . وثمة غرض ثان حمل الخلفاء الراشدين على اتباع السياسة المذكورة وهو كما قال ابن عساكر ان يبقى اهل الذمة وارضهم مصدراً للمال الذي يحتاج اليه المسلمون في اتمام الجهاد دون أن يستأثر بخراجها بعض المسلمين دون بعض اذا تملك بعضهم الارض . فيتضح مما ذكران العرب في صدر الاسلام لم يمتنعوا عن الزراعة واقتناء المزارع احتقاراً للاكارين ومهنتهم كما ذكر بعض الشعوبيين ومتعصبي الفرنجة بل كان لأغنهم في ذلك غرض اسمى . ولئن امتنع العرب انفسهم عن الاشتغال بالزراعة في اول عهد الاسلام فلقد كانوا عليمين بان هذه الصناعة هي ركن ثروة البلاد ومصدر الغنى لبيت المال ولذلك عطفوا على الفلاحين وابقوا دواوين الخراج اي ضريبة الارض على ما كانت عليه ايام الروم والفرس وكانوا ارفق ممن تقدمهم في جباية الخراج وعدلوا فيه على مقتضى الاحوال في مختلف البلاد التي دانت لهم وخضعت لسلطانهم . وسواء أكان الخراج بمقاسمة او بالمساحة « اي بنسبة الغلات او ضريبة مقطوعة على المساحة » فما كان يزيد على عشر المحاصيل مطلقاً على حين نصت شرائع الدولة التركية على استيفاء ثمن المحاصيل عدا ضريبة الارض . وكان

غير المسلمين ملزمين بالجزية وهي ضريبة لم يحدثها العرب بل كانت الأمم القديمة تعرفها من اغريق ورومان وفرس وهي توضع لقاء حماية اهل الذمة من التعدي عليهم والتصدي لهم لانهم ما كانوا ملزمين بالقتال الذب عن حياضهم . فالجزية إذن شبيهة بما يسمى «بدل العسكرية» ايام الترك اي الضريبة التي كان يجمعها الترك من المسلمين وغير المسلمين للخلاص من الجندية . ولم يضع العرب الجزية على النساء والصبيان والرهبان واهل العاهات . وكان مقدارها مختلفاً باختلاف درجات الناس وقلما كانت ثقيلة الوطأة الا في حالات خاصة كأن تمس الحاجة الى المال لقتال عدو او لاغراض أخرى ذات بال .

ومنذ بدء ابتعاد العرب عن التصرف بالارض طويلاً فان معاوية ايام كان عاملاً على الشام رأى ان جانباً كبيراً من القرى كان ملكاً لحكام الروم وقوادهم فلما قتل بعضهم وفر بعض بقيت تلك القرى بلا صاحب فكتب معاوية الى عثمان ان ما اجراه عليه من الرزق لا يقوم بمؤنة رسل الروم ووفودهم ورسل امراء الجند وغيرهم وسأله ان يقطعه تلك الضياع والمزارع لانها لا صاحب لها فأجابه عثمان الى طلبه . وهكذا أخذ العرب يقتنون الضياع إما باقتطاع ما ليس لها مالك او بشراء التي أقرت لاصحابها من اهل الذمة . والارض التي كانوا يقتطعونها هي الارض الموات والتي نسميها اليوم محلولة او خالية اي التي فر اصحابها او قتلوا او كانت مستنقعاً او معطلة مدة طويلة لسبب من الاسباب . وخلت ملكية الارض للامام والناس يستغلونها اي لهم حق التصرف بها . ولبثت هذه القاعدة في انحاء بلاد العرب الى اليوم الا في مصر حيث أصبحت الارض ملكاً صرفاً للمصريين من ايام الخديوي سعيد باشا وهذه هي الحال في بلاد اوربا في ايامنا هذه . وبعد ان اقتطع المسلمون الارض وابتاعوها أخذوا يدفعون العشر عنها اي عشر غلاتها كما في الخراج .

وما عتم العرب عقب اقتنائهم المزارع واشتغالهم بالارض حتى تغلبوا على عناصر المزارعين او الأكرة الأصليين كما تغلبت اللغة العربية على لغتهم كاليونانية والسريانية والارامية والفارسية والقبطية وهكذا عمت العربية البلاد التي يعنينا امرها وانقرضت لغاتها القديمة وصارت هذه البلاد تعد بلاداً عربية محضة .

ومما يلفت النظر ما في الشرع الاسلامي من القواعد الاقتصادية القويمة فضريبة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المستغلات مثلاً هي عشر المحصول من ثمار او حبوب اذا كانت الارض تسقى سيحاً اي من المطر والانهر بلا تعب · اما اذا كانت تسقى بتعب فانه يؤخذ منها نصف العشر · ومما يدهش ايضاً ان هذه الضريبة (وكانت هي الصدقة او الزكاة بادئ بدء) ما كانت تؤخذ الا اذا زاد المحصول عن كذا من الغلة اي عن المقدار الضروري لقوت الأكار وعياله اما الشرائع التي أبقاها الترك لنا فهي تلزم الفلاح بدفع ثمن المحاصيل عامةً سواء كانت سنته سنة خصب او محل · أفليس يعلم كل منا ان قرية كذا أمحلت في سنة كذا حتى ان زراعها لم يحصلوا على سوى بذارهم ومع ذلك جبت الحكومة التركية حصتها بتمامها من ذلك المحصول الضئيل · ان القاعدة التي ذكرتها كانت تمنع أجدادنا العرب عن مثل ذلك · ومن القواعد الاقتصادية المهمة ايضاً ان الصدقة كانت تتضاعف احياناً بنسبة ثروة الانسان · وهذه القاعدة يسير عليها اليوم كثير من الحكومات الاوربية في استيفاء الضرائب فالذي يكون صاحب ثلاثمائة دينار مثلاً يدفع دينارين عن المائة الاولى وثلاثة دنانير عن المائة الثانية واربعة دنانير عن المائة الثالثة وهكذا تزداد نسبة الضريبة بنسبة ازدياد ثروة المرء وتقل بقلتها · ولم تُفرض الصدقة على الخيل والحمير والبغال لما لها من الفائدة · وكانوا اذا وضعوا العشر او الخراج بالمساحة ينظرون الى بعد الشقة بين الارض والمدن فكأن الضريبة تدفع في الارض التي أنتجت المحصول وذلك عدل ·

وجاء في الشرع الاسلامي قواعد في استغلال الارض وعمارتها غاية في الحكمة مثل شروط المساقاة والمزارعة وكري الانهار والمجاري واصلاحها وحريم الآبار والقنى والانهر وإحياء الارض الموات وإباحة الانهار العامة والبحار والبحيرات والأعشاب والاشجار التي تنبتها الطبيعة والآبار التي لم يحفرها بنو الناس الى غير ذلك مما يدل على بعد نظر في عمارة الارض واستغلالها وعلى براعة في سياسة الشعوب لا ينكرها الا كل جهول او صاحب تعصب ذميم ·

يستنتج مما ذكرت اولاً ان العرب في صدر الاسلام أقروا سكان البلاد التي فتحوها على ارضهم ولم يقتطعوا لانفسهم سوى الارض الموات والتي لا اصحاب لها · ثانياً انهم وضعوا على الارض ضريبة معتدلة متناسبة مع غلاتها فلم تربُ على عشر هذه الغلات · وقد

كانت تبلغ نصف العشر أحياناً · وإن زادت على العشر في بعض الأحايين مما كانت وطأتها شديدة لاستبحار العمران ورخاء العيش · ثالثاً انهم وضعوا شرائع زراعية وضح فيها حق كل اكار او رب ارض وامتنع بها تعدي بعض الناس على بعض · فلا عجب بعد هذا ان ينشط الاهلون الى استغلال الارض وعمارة المزارع والقرى وان يبلغ ارتفاع الخراج في الأقطار التي خفقت في ربوعها رايات الدول العربية أضعافه في يومنا هذا مع رخاء السعر في تلك الايام · وقد أسهب مؤرخو العرب في ذكر ما كان يجبى في مختلف الأقاليم ايام الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين في المشرق والمغرب مما لا يمكن ذكره في هذا البحث الموجز · بل يكفي ان أنقل ما جاء في تاريخ التمدن الاسلامي وهو ان ما كان يرد الى بيت المال في عهد المأمون يقدر بنحو ٣٦٠ مليون درهم وكان ينفق منها في مصالح الدولة نحو ٦٠ مليون درهم فيبقى ٣٠٠ مليون درهم اي عشرة ملايين جنيه تقريباً · واذا قلنا عشرة ملايين جنيه في تلك الايام فكأننا قلنا خمسين مليون جنيه في ايامنا هذه · فأي دولة من دول العالم اليوم يفيض في خزائنها هذا المال العظيم · ثم يجب ان يلحظ ان معظم واردات بيت المال كان مصدرها الخراج اي ضريبة محاصيل الارض وفي ذلك أجلى دليل على ما كان للزراعة من الشأن في هاتيك الايام الزاهرة · ولما كان الملك والمدنية وكل شيء لا يقوم الا بالمال حق لنا ان نقول ان الزراعة ومنتوجات الارض هي أكبر عامل في تكوين المدنية العربية الاسلامية بكل مظاهرها · فهي التي جعلت الخلفاء يبنون المدن كبغداد والبصرة والكوفة والقاهرة والرقة ويشيدون القصور والجوامع والمدارس والتكايا وينفقون عن سعة على العلماء والادباء والشعراء والمترجمين ويوسعون على العمال والجنود والشرط لصيانة الملك وإقامة العدل بين الناس ·

وكان لارباب الوجاهة والمال عناية باصلاح الري · يدلنا على ذلك مثال ذكره قدامة بن جعفر وهو انه انبثقت بثوق في دجلة ايام الحجاج فلم يثنه اشتغاله في الحروب عن ان يكتب الى الوليد بن عبد الملك يخبره وبانها تستلزم انفاق ثلاثة ملايين درهم فلما استكثرها قال له اخوه مسلمة بن عبد الملك « انا أنفق على سدها من مالي على ان تعطيني خراج الأرضين المنخفضة التي يبقى فيها الماء بعد إنفاق المال على ايدي ثقاتك

فرضي الوليد بذلك فحصل له ارضون وطساسيج كثيرة فحفر نهرين سماهما السيبين وتألف الأكرة والمزارعين وعمر تلك الأرضين . وجرى الناس على ذلك الى أواخر بني أمية » .

وكان العباسيون اكثر اهتماماً من الأمويين في شؤون الفلاحة وتعمير القرى والدساكر لاسيما في السواد اي بين دجلة والفرات حيث كان مقر ملكهم فلقد احتفروا الأنهر والمجاري وأقاموا الأسداد وأنشأوا الجسور حتى أصبح ما بين النهرين على اتساعه شبيهاً بالغوطتين من حيث اشتباك الانهار ومجاري الإسقاء . ولدينا مثال اقرب في قنوات سلية وأطرافها فان التاريخ ينبؤنا بان أرباض سلمية بين حمص وحماة كانت ايام الدول العربية رياضاً غناء تسقى بقني عديدة لم تدع للاعداء أثراً . وقد ردمت هذه القنوات كما انبثقت أسداد دجلة والفرات وردمت أنهارهما ومجاريهما بعد ان ضعف شأن الخلافة العربية وانهال عليها من المشرق برابرته . وكانت خلاصة تقرير السير ويلكوكس المهندس المائي الشهير الذي كانت الحكومة التركية انتدبته لدرس الري في العراق (وقد ترجمته بالعربية) عبارة عن إعادة فتح الأنهار والمجاري وإقامة الأسداد التي كانت ايام الرشيد والمأمون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان سكان الشام والعراق اضعاف سكانها اليوم كما ان سكان مصر كانوا يقدرون بنحو ٢٠ مليوناً . وهذا لا يستغرب . أفلم يكن سكان مصر ثلاثة ملايين منذ اقل من قرن فاذا بهم اليوم نحو ستة عشر مليوناً بعد ان عدل محمد علي وذريته بين الناس وبعد ان أنشئت القناطر الخيرية وسد أصوان وفتحت مجاري الري واكتشف ان القطن الجيد الشعر يألف تربة مصر وإقليمها .

والأشجار والزروع التي كان يزرعها العرب عدد عظيم بل هي كل ما تعرفه في ايامنا هذه الا ما نقل حديثاً من العالم الجديد اي اميركة الى العالم القديم مثل التبغ والبطاطا والطماطم وغيرها او نقل الينا من البلاد البعيدة التي استعمرها الاوربيون كالقشطة والمنجو والمشمش الهندي وأضرابها . وكان لهم حذق بالتجارب الزراعية واصطفاء الأصناف النباتية الجيدة وتكثيرها ولأنواع المشمش والتين وخلافها من الفواكه اصناف تعد بالعشرات . ومن البديهي انه لا يقتني أصنافا عدة كهذه الا الذين يعرفون مزايا كل منها و يعرفون كيف الحصول عليها .

وللعرب فضل في نقل كثير من النباتات المفيدة الى اوربا وتعريف الفرنجة بها · ذكر مؤلفو الافرنج ان العرب هم الذين نقلوا القطن الى الاندلس وصقلية فاقتبس الاوربيون زراعته عنهم · وقالوا ان اول من بحث في القطن فأسهب في زرعه ودوّن ما كان يعرفه فيه المصنفون المصريون والفرس القدماء هو ابو زكريا يحيى بن محمد بن العوام الاشبيلي في كتابه الشهير « الفلاحة الاندلسية » واقتبس العرب من الصينيين زرع قصب السكر واستخراج السكر منه فنقلوهما الى مصر وصقلية والاندلس وهنالك تناولها الاوربيون ولا سيما البرتغاليون ثم تفشت زراعة هذا النبات في اميركة بعد اكتشافها وخصوصاً في كوبة والمكسيك · وذكر اكبر علماء النبات ان العرب هم الذين يرجع الفضل اليهم في نقل معظم أشجار الفصيلة البرتقالية من شرق آسيا ونشرها حول بحر الروم · فالأترج مثلاً مهده الاصلي في الهند وقد نقله العرب منها في القرن الثالث من الهجرة وأذاعوه في البلاد التي امتد سلطانهم عليها · ومهد الليمون الحامض هو في الهند ايضاً وقد نقله العرب الى العراق والشام والمغرب والاندلس فوجده الصليبيون متأصلاً في الشام فنقلوه الى ايطاليا وغيرها · وهكذا يقال في البرتقال والليمون الحلو الاالكباد فاليونانيون كانوايعرفونه · اماالمندرين (يوسف افندي) فحديث وكذا الليمون الهندي او الفراسكين · واخذ الفرنج عن العرب زرع البطيخ والمشمش والخوخ كما نقلوا من مصر والشام الى بلاد الفرنجة عدداً كبيراً من العقاقير الطبية والأبازير والافاويه التي منابتها الهند وغيرها من البلاد الحارة ·

وترجم العرب عن اليونانية والنبطية كتباً كثيرة في النبات والحيوان والماشية والزراعة · وأشهر الكتب الزراعية التي ترجمت بالعربية كتاب الفلاحةالنبطية الذي تقدم ذكره · وثم كتاب لا بأس به وهو كتاب الفلاحة الرومية لقسطا بن لوقا البعلبكي وأشهر كتاب هو الذي ألفه ابن العوام في القرن السادس من الهجرة وسماه (كتاب الفلاحة الاندلسية) · قال العالم الفرنسي رنجاان « كان ابن العوام يسكن اشبيلية وكان يجرب تجارب عديدة على جبل الأشرف وليس كتابه معرض فصاحة وبلاغه بل هو مجموعة أجمل الأبحاث بالقواعد الزراعية التي كتب فيها الأنباط واليونانيون والرومانيون عدا ما كان يتبع في الاندلس » · وقال العالم الزراعي انطوان بامي

(Antoine passy) في تقرير تقدمه الى الجمعية الوطنية الزراعية الفرنسية سنة ١٨٥٩ « ان ما لكتاب ابن العوام من عظم الشأن لا يقتصر على كونه حاوياً الفنون الزراعية القديمة مع التي تتبع في الاندلس بل لهذا السفر قيمة ثانية وهو انه كشف النقاب عن انه كان للعرب نظرات في الطبيعة والكيمياء لم نكن نرقب وجودها ٠ وهو سفر مملوء بالفوائد يطل بنا في شكل موجز على ما كانت عليه زراعة الامم القديمة ثم ما بلغته بعدها في الاندلس وفي جميع البلاد الاسلامية إبان الفتح الزاهر ٠ وفي الاختصار ان هذه الدائرة الزراعية التي خص بها القرن الثاني عشر من الميلاد هي كاملة » ٠

يستخلص مما ذكرته عن الزراعة في عهد العرب بعد الاسلام انه حق لأجدادنا الفخر لاحتفاظهم بكثير من علوم الأقدمين الزراعية و باضافتهم تجاربهم وملحوظاتهم اليها مما لا يخلو من فوائد عملية ومن حقائق علمية تقرها عقولنا اليوم ٠ فكما قيض التاريخ هذه الامة الكريمة للاحتفاظ بعلوم اليونان والرومان والفرس والهنود والأنباط في الفلسفة والطب والفلك والرياضيات وغيرها وذلك في القرون الوسطى يوم لم يكن غيرهم في عالم المدنية فلقد حملهم ايضاً حفظة العلوم الزراعية بفروعها ٠ وهذه الحقيقة التي لم يكتب فيها احد الى الآن على ما أعلم يجب ان ترسخ في أذهاننا حتى اذا جاء ذكر العرب إبان مدنيتهم الزاهرة نقول بملء فمنا انهم عرفوا ان يحفظوا و يوسعوا كل العلوم المفيدة التي كانت للعالم المتمدن من قبلهم بلا استثناء ٠

مصطفى الشهابي
عضو المجمع العلمي العربي

قانون البلاغة

— ٣ —

ومن هذا الجنس كتاب الحجاج الى المهلب يستزيده في قتال الأزارقة : فان انت فعلت ذلك ، والا شرعت عليك الرمح ، فقال المهلب في الجواب : ان شرعت اليَّ الرمح ، قلبت عليك ظهر المجن . فهذا المذهب الذي هو التمثيل معاكس لمذهب الإرداف ، اذ كان في ذلك قوة الإسهاب والبسط . وفي هذا قوة الايجاز والجمع ، وهو ايضاً مستعمل في العبارة الشعرية . وقد ذكرنا وجه استعماله في الشعر في الكتاب الذي أفردناه في البلاغة الشعرية .

ومن عيوب اشتراك اللفظ والمعنى ، (الإخلال) ، وهو ان يخلَّ من اللفظ بما فيه استيفاء المعنى وتمام المقصد به ، مثل ما كتب كاتب فقال : فان المعروف اذا زجا[1] كان أفضل منه اذا توفر وابطا . فأرى ان هذا الكاتب انما أراد ان يقول له : فان المعروف اذا قلَّ وزجا ، كان أفضل منه اذا كثر وابطا ، فترك ما به يتم المعنى ، وهو ذكر القلة .

ومن عيوب هذا الجنس الإخلال بالافادة ، وهو ان يؤتى في الكلام بزيادة لفظ يفسد المعنى ، كما لو قال قائل مثلاً : فان الامر والنهي ، لو ذقتهما ، طيبان . فقوله لو ذقتهما زيادة تفسد المعنى ، وذلك انه لولم يذقهما لم يكونا طيبين ، وليس الطيب والكريه انما يكونان كذلك بذواق الذائق لهما بل هما على هذه الحال بانفسهما .

ومن عيوب اشتراك اللفظ[2] ان تقدم الفاظاً تقتضي جواباً يأتي بعدها باعادة ما تقدم منها ، فلا يؤتى بالألفاظ باعيانها ، بل ينقل المعنى الذي تدل عليه الألفاظ الى ألفاظ أُخر غيرها ، مثل ما كتب بعضهم : فان من اقترف ذنباً عامداً ، واكتسب جرماً قاصداً ، لزمه ماجناه ، وحاق به ما توخاه . فنقل لفظي الاقتراف والاكتساب ، الى لفظي الجناية والتوخي . وكان الأحسن ان يأتي بهما باعيانهما فيقول : لزمه

(١) زجا الامر تيسر واستقام . ولعله (وحى) بمعنى اسرع ليقع في مقابلة (ابطا)

(٢) اسم هذا العيب ساقط من الاصل .

ما اقترفه ، وحاق به ما اكتسبه ، اذ كان ذلك هو الذي يختاره البلغاء ٠

ومن عيوب هذا الجنس ، الهذر والتبعيد ، عند الحاجة الى الايجاز والتقريب ، وهذا هو زيادة الألفاظ على المعاني من غير سبب يدعو اليها ، او حاجة تبعث عليها ، والمثالات في ذلك موجودة كثيرة من كلام العامة والدخلاء في الصناعة ٠

ان من آلة الكاتب وأداته ان يضيف الى الاحسان في المكاتبة ، مثل ذلك في المحاورة والمخاطبة ، حتى تكون ألفاظه مهذبة ، واشاراته مستعذبة ، والنفوس نحوه اذا نطق منصتة ٠ فمن المحاورة المستحسنة قول الفضل بن الربيع فقد قال له الرشيد : كذبت ٠ قال يا امير المؤمنين : وجه الكذوب لا يقابلك ، ولسانه لا يخاطبك [1] ، فوصله ٠ وقال : كذبني فوصلته ، لحسن جوابه ٠ ودخل سعيد بن مرة على معاوية فقال له : انت سعيد بن مرة فقال انا ابن مرة وانت السعيد فوصله لحسن جوابه ٠ وقال السفاح او المنصور للسيد الباقر أأنت السيد ٠ فقال : انا ابن ابي وانت السيد ٠ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه العباس : انت اكبر مني فقال : انا أسن ، وانت اكبر مني ٠ وقال سعيد بن عمرو بن عثمان لطويس المخنث : أينا أسن فقال : بابي انت وامي ، لقد شهدت زفاف امك المباركة الى ابيك الطيب ٠ فلو جعل الطيب وصفاً للام لقد هجّن بالابن ٠ وعلى حسب مايستحسن هذا الجنس من الجواب ، يستقبح ما كان خلافه من الخطاب ٠ كما يروى ان رجلاً مرَّ بابي بكر او بعمر ومعه ثوب وقال تبيعه قال : لا عافاك الله فقال قد علمتم لو تعلمون هلا قلت لا وعافاك الله ٠

ومما جاء من الدلالة على تفضيل البلاغة ما انا ذاكره في هذا الكتاب قال العباس يا رسول الله فيم الجمال ؟ فقال في اللسان ٠ وزعمت الحكماء ان اعلى الخلق مرتبة الملائكة ثم الانس ، وانما صار لهؤلاء الفضل على سائر اصناف الخلق بالعقل والنطق ٠ وقال مسلمة بن عبد الملك مروءتان ظاهرتان الرياش والفصاحة ٠ ودخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر فاحتقره لدمامة كانت فيه فقال تسمع بالمعيدي خير من ان تراه ٠ ويقال لا ان تراه ٠ فقال ابيت اللعن ان الرجال ، لا تُكال بالقفزان ،

(1) تروى هذه العبارة لسهل بن هرون باسلوب آخر ٠

وليست بمسوك يستقى فيها . وانما المرء باصغريه قلبه ولسانه ان صال صال بجنان ، وان قال قال بلسان . قال الشاعر [٢] :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه في التكلم

ومما جاء في وصف البليغ وترتيب البلاغة ما انا ذاكره : حكى الجاحظ عن بعض حكماء الهند انه قال : اول البلاغة جماع آلة البلاغة . وذلك ان يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الامة ، بكلام الامة ، ولا الملوك بكلام السوقة ، ويكون معه من القوة ما يصرّف به لفظه في كل طبقة ، حتى لا يدقّق المعنى اذا خاطب أوساط الناس ، ولا يدع ذلك اذا خاطب حكيماً او كاتب فيلسوفاً .

وقال الجاحظ من شروط البليغ ، ان يكون ذاكراً لما عقد عليه اول كلامه ، ويكون تصفحه لمصادره ، في وزن تصفحه لموارده . قال : وكان خالد بن صفوان يوصف بانه أذكر الناس لاول كلامه ، واحفظهم لكل ما سلف من منطقه ، فقال فيه الشاعر :

عليم بتأويل الكلام ملقّن ذكور لما سدّاه اوّل اولا
يبذّ [٣] فريع القوم في كل مجمع وان كان سحبان الخطيب ودغفلا
ترى خطباء الناس عند ارتجاله كأنهم الكروان عاين أجدلا

وقال بعض نُقّاد الكلام : جماع البلاغة حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول ، وقلة الخرق بما التبس من المعاني ، او غمض بما بعُد من القول او شرد . وقال بعضهم في تقدير الكلام وترتيبه : ليكن صدر كلامك دليلاً على حاجتك ، كما ان خير أبيات الشعر ما اذا سمعت صدره عرفت قافيته . مثال ذلك ان تفرق بين صدر خطبة النكاح ، وبين صدر خطبة الصلح ، حتى يكون لكل فن من الفنون صدر يدل على عجزه ، واول يشير الى آخره .

---

(١) المسك الجلد او خاص بالسخلة جمعه مسوك والمراد بها القرب والزوايا .
(٢) وفي هامش الاصل الخزاعي . (٣) في الاصل يبذ — يفوق .

وقال أعرابيٌّ في دعائه : اللهم اني أعوذ بك من فقرٍ مُكِبٍّ ، وتضرّعٍ الى غير محب . وقال بليغ : بقدر السموّ في الرفعة ، تكون الوقعة . وقال بعض الخطاب : لا يكن حبك كلفا ، ولا بغضك تلفا . وذمّ اعرابي رجلاً فقال : كان صغير القدر ، قصير الشبر[١] لئيم النجر ، كثير الفخر .

وسمع الحسن بن علي ان نافع بن جبير قال : كان معاوية يسكته الحلم ، وينطقه العلم . فقال : بل يسكته الحصر ، وينطقه البطر . وقال بليغ : من عرف الناس داراهم ، ومن جهلهم ماراهم . وقال علي بن ابي طالب : هل من خلاص ، او مناص ، او فرار ، او نحار[٢] ، او منجا ، او ملجا ، او معاذ ، او ملاذ . وقال رجل لآخر : أتعرفني فقال : أعرفك كثير السعاية ، قليل النكاية . قال المهلب لمالك بن دينار : أتعرفني فقال : نعم انت الذي اوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما يحمل العذرة . فقال : لقد عرفتني حق المعرفة . ووصف اعرابي ناقة فقال : هي كالعقرب اذا هوت ، والحية اذا التوت ، تطوي الفلاة وما انطوت .

وقيل للاحنف : كيف تسود الناس فقال : بالخلق الجميل ، والكف عن القبيح . وقيل لبنت الخُسّ[٣] : اي الرجال أحب اليكِ فقالت : القريب الآمال ، الواسع البال ، الذي يوفد عليه ولا يفد . وقال كاتب : الشكر[٤] وان قلّ ، ثمن لكل نوال وان جلّ . وقيل لبعضهم : اي اخوانك أوجب عليك حقاً فقال : الذي يسد خللي ، ويغفر زللي ، ويقيل عللي . وأوصى حكيمٌ رجلاً فقال : سائل العلماء ، وجالس الحكماء ، وخالط الحلماء . فان مجالستهم غنيمة ، وصحبتهم سليمة ، ومؤاخاتهم كريمة .

وخرج شبيب بن شبة من دار الخلافة فقيل له : كيف رأيت الناس فقال : رأيت الداخل راجياً ، والخارج راضياً . وقيل لصعصعة بن معوية : هل كان من مطر قال نعم حتى عفى الاثر ، وأنضر الشجر ، ودهده الحجر . وسأل الحجاج رسوله

(١) في الاساس : فلان قصير الشبر متقارب الخلق . (٢) كذا في الاصل فليحرر .

(٣) ابنة الخُسّ مشهورة في الفصاحة عند العرب وهي من بني إياد جاءت عنها الامثال تقول اين بنت الخُسّ ، من فصاحة قس . (٤) في اغاش الشكر عند الكريم .

أراجع من السند اليه عنهـا فقال : ماؤها وشل ، ولصّها بطل ، وتمرها دقل [١] ، ان كثر الجيش بها جاعوا ، وان قلوا ضاعوا · ووصف بليغ منطقاً فقال هذا كلام يكتفى باولاه ، ويُشتفى بأخراه · وقال الجارود بن ابي سبرة سوء الخلق يفسد العمل ، كما يفسد الخلّ العسل · وقال بليغ : ليس بكريم من لم تُذهب القدرة حفيظته ، والبلوى ضغينته ·

ووصف اعرابي حرباً فقال : اولها شكوى ، واوسطها نجوى ، وآخرها بلوى · ووصف اعرابي رجلاً فقال : مارأيت أضرب لمثل ، ولا اركب لجمل ، ولا اصعد في قلل منه · وقال عمر بن عبدالعزيز ، انما هلك من كان قبلكم بمنعهم الحق حتى يشترى ، وبسطهم الظلم حتى يفتدى · وقال الخُسُّ لبنته أريد شراء فحل للابل · فقالت : ليكن أسجح [٢] الخدين ، غائر العينين ، ارقب [٣] اخزم [٤] اعكر [٥] اكوم [٦] ان عُصي غشم [٧] ، وان أُطيع تجرثم [٨] · ولما سئلت عن الفها الغلام قالت : طول السواد [٩] ، وقرب الوساد ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة اشياء لا تنقص ولا تزيد · اللفظ والاشارة والعقدة والخط والنصبة وهي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الاصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات ، ولكل واحدة من هذه الخمسة صورة بائنة عن صورة صاحبها ، وحلية مخالفة لحلية أختها ، وهي التي تكشف لك عن اعيان المعاني في الجملة ، وعن حقائقها في التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها في السار والضار ، وعما يكون لغواً بهرجاً ، وساقطاً مطرحاً ·

وانا ذاكر لك بعض الرواية في مدح الكتابة ونعت آلاتها ، وما يحتاج الكاتب

---

(١) أردأ التمر · (٢) الاسجح البعير الرقيق المشفر · (٣) الارقب الغليظ الرقبة · (٤) الاخزم المذلل ، وفي رواية الاحزم وهو الغليظ موضع الحزام مع شدة · (٥) كثير شحم السنام · (٦) الاكوم المرتفع السنام · (٧) غشم الراعي البعير غشماً حنأه بالهناء اي القطران لا يترك من الهناء شيئاً الا يتهناه يصبه على صحيحه وسقيمه · (٨) تجرثم اجتمع ولعله يعني بذلك استناخ · (٩) السواد بكسر السين مصدر ساوده اذا ساره ·

ان يأخذ نفسه به فيها ، ويستعمله في احكامه وبحوثه ، من العلوم التي بها قوامها ونظامها ، ومنها موادها وعليها اعتمادنا . قال احد الحكماء المنطقيين ، وزعماء الخطابة ، وفرسان الكلام : ان الله جعل للكتابة حظاً بارزاً ، ومكاناً ظاهراً ، ومحلاً بادياً ، تدركه الابصار بالرؤية ، وتراه العيون بالابصار ، وتناله المشاعر بالاشتمال . يكون عند النسيان مرجعاً ، ولمن عدم ثقافة الذكاء مكرّاً ، وعند عوارض العلل مآباً . ثم سماه باحسن تسمية ، وحلاه باجل رتبة ، فسماه بالعربية عقلاً ، وجعل ذلك له شرفاً وفضلاً . فذلك تأويل الكتاب عند العلماء ، وتفسيره لدى الحكماء ، الذين يتأملون مخارج التدبير ، ويتفقدون إصابة التقدير . فتجمل في صدورهم حكمة الخلاق العليم ، ويعلو في اعينهم آثار صنع المقتدر الحكيم . فتأخذ في افئدتهم محبة امره ، ويستولي عليهم رفق معادن حكمته ، والشغف بظاهر نوره ، وسمى من آتاه له عاقلاً وبالفارسية دوفير اسيے ذو كتابة (١) ثم جعله نوراً يستضاء به ، ودليلاً يعتمد على هدايته ، وشاهداً يسكن الى عدالته ، وصوتاً يبلغ الآفاق في غير اشتراك من الكل في استماعه ، يسمع به النائي البعيد محله ، ويسترعن الداني القريب قربه ، وسهماً صائباً لغرضه في غير تجوم للمتوسطات دونه ، ومصاحباً يدرك به الكاتبون ما استتر على الامبين ، وهم في الحضور مشتركون ولاحضر منه (؟) مشرفون ، وحارساً لحقوق المستحقين ، وديون الغارمين ، من مقرض امهل ، ومبايع أجل ، ومتاجر أخر . هي مخاطبة غيبية ، ومناجاة خفية ، ومراسلة عقلية ، وأدعية حسية . مع دلالتها على الصانع الحكيم ، الذي جعل بين حظوظ العالمين ، على ابد الآبدين . فروقاً مميزة ، وفصولاً مبيّنة . كاختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وافتراق صورهم وابدانهم . فسبحان من ليس لقدرته شبه ، ولا يدرك لحكمته كنه ، وهو بكل شيء عليم .

ووجدنا هذا العلم الذي هو إناء الحق ووعاؤه ، وخاتف الاشياء والبدل منها ، وصور الامور ومثالها ، محصّلاً بالحفظ ، محفوظاً محروساً بالعقل ، مجدّداً بالذكر ، مسترجعاً بالتذكر ، مستنبطاً بالتفكر ، مقبولاً بالفهم ، مُتَمَكِّناً بالذكاء ، مستحضراً

---

(١) وفي هامش الاصل اى ذو خاطرين ولعل صوابه دودبير اي كاتبان .

بالذهن ، رابياً بالتعهد ، مدركاً بالطلب الذي يدعو اليه الانتياب ، ويحدو عليه الحرص ، وتنجه العناية · وتأمر به الالباب ، وتثمره السعادة ، ويجمع امره التوفيق · ووجدناه كثير الآفات عند الاعداء ، مستجمع الاضداد ، حاضر الانداد · فالنسيان يذهب به ، والشغل يحول دونه · والونية تقعده ، والفتور يفنيه ، والرَّين يعمّي على روّيته · والندامة[1] تثبط عن دركه ، والاضراب يعفي سبيله ، والامراض تنهك آلته ، والعلل تخرّب محله ، والبطالة تخلّي به · والشيطان يصدّعنه ، والأمّارة بالشر تُعمي الطريق اليه · وملاك الامر فيما تأخذه به نفسك في اراغة المعاني ومساواة الالفاظ ، ورياضة الطبع في تخير الكلام ، واستعمال القريحة في اختلاف عرر الالفاظ ، ليتكامل حظك من الدربة ، ويقوى مفاؤك في مذاهب البلاغة · فقد قيل : ان رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحها رواية الكلام ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تخير الالفاظ ، والمحبة (كذا) مقرونة بقلة الاستكراه ·

وقد حكى عمرو بن بحر عن ابي الاشعث انه قال : قلت لبهلة الهندي ايام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند الى خدمة دار السلطان : ما البلاغة عند الهند ؟ قال بهلة : عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ولكن لا أُحسن ترجمتها ولم أُعالج هذه الصناعة فأثق من نفسي بخصائصها ، وتلخيص لطائف معانيها · قال ابو الاشعث : فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة فاذا فيها : اول البلاغة ، اجتماع آلة البلاغة · وذلك ان يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ، ولا الملوك بكلام السوقة · ويكون في قوله[2] فضل للتصرف في كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ، ولا يصفيها كل التصفية ، ويهذبها غاية التهذيب · ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيماً وفيلسوفاً عليماً · ومن قد تعود حذف فضول الكلام ، واسقاط مشتركات الالفاظ · ومن قد نظر في صناعة المنطق ، على جهة الصناعة ، لا على جهة الاعتراض والتصفح ، ولا على

(١) الندامة مصدر فدم الرجل كان فدماً اي عيياً عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم وفطنة · (٢) في كتاب الصناعتين : ويكون في قواه التصرف في كل طبقة ·

جهة الاستطراف [1] والنظر . واعلم ان حق المعنى ان يكون الاسم له طبقاً ، وتلك الحالة له وفقاً . ويكون الاسم لا فاضلاً ولا مقصراً ، ولا مشتركاً ولا مضمناً . ويكون مع ذلك ذاكراً لما عقد عليه أول كلامه ، ويكون تصفحه لمصادره ، في وزن تصفحه لموارده ، ويكون لفظه مونقاً [2] ، وللقول في تلك المقامات معاوداً .

ومدار الامر على افهام كل قوم بقدر طاقتهم ، والحمل عليهم على أقدار منازلهم ، وان تؤاتيه آلته ، وتتصرف معه أداته . ويكون في التهمة لنفسه معتدلاً ، وفي حسن الظن بها مقتصداً . فانه ان تجاوز الحق في فقدان [3] حسن الظن ، أودعها تهاون الآمنين [4] ، ولكل ذلك مقدار من الشغل ، ولكل شغل مقدار من الوهن ؛ ولكل وهن مقدار من الجهل ، وقال بعض (بلغاء) الهند : جماع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة . ثم قال : ومن البصر بالحجة ان يدفع الافصاح بها الى الكناية عنها ، اذا كان الافصاح بها أوعر طريقة . وربما كان الاضراب عنها صفحاً ، أبلغ من الدرك ، وأحق بالظفر . وقال مرة : جماع البلاغة التماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول ، وقلة الخرق بما التبس من المعاني ، او غمض بما شرد عنك من اللفظ وتعذر .

« للبحث صلة »

—

(١) في الصناعتين : الاستطراف والتطرف لها . (٢) في الصناعتين بدلاً من جملة وللقول الخ هذا : ومعناه نيراً واضحاً . (٣) في الصناعتين : مقدار . (٤) في الصناعتين بعد تهاون الآمنين هكذا : وان تجاوز بها مقدار الحق في التهمة ظلمها ولكل ...

اعضاء المجمع في الغرب

اغناطيوس كراتشقوفسكي

« ترجمته بقلمه العربي »

ولدتُ في ٤ آذار سنة ١٨٨٣ في ڤيلنا عاصمة ليتوانية القديمة ، وكان والدي رئيساً لمدرسة المعلمين فيها . ولكن لم يمض من عمري سنتان حتى ارتحلت عائلتي الى بلاد ما وراء النهر ، وعين والدي رئيساً لمدرسة المعلمين في تاشكند ، وبعد مدة وجيزة عين ناظراً عاماً للمدارس في آسيا الوسطى . وابتدأت أذكر نفسي طفلاً صغيراً في تاشكند واول لغة تكلمتها لغة أوزبكية لان حاضنتي كانت أوزبكية الاصل . وكانت تأثراتي الاولى في صغري بما وقعت عيني عليه من المساجد والاسواق الشرقية ، وتنوع الامم والطوائف واختلاف الالبسة . وكان لهذه التأثيرات وقع شديد في نفسي ايام طفوليتي . واكبر ظني اني غدوت ميالاً الى الشرق وان كنت غير مدرك هذا الميل الغريزي .

وفي سنة ١٨٨٨ رجع والدي الى ڤيلنا وصار مديراً للمكتبة العمومية ، ورئيساً في لجنة البحث عن الآثار التاريخية القديمة ، ولم يزل عاملاً فيها الى ان فاجأته المنية رحمه الله في سنة ١٩٠٣ . وكنت في صغري ضعيف الصحة تتناوبني الامراض ، ولذلك كنت مع أمي الى سنة ١٨٩٣ في ملك صغير كان لنا في ولاية ڤيلنا ، وفيه كانت خزانة الكتب الكبيرة في أنواع منوعة في العلم جمعها جدي وابي وقد ضاعت في الحرب العالمية سنة ١٩١٥ مع كل ملك لنا . وكنت أتعلم القراءة في هذه الكتب وقرأت كثيراً من المؤرخين والقصاصين في اللغة الروسية . كنت أصغر أولاد أبي وأمي ، ولذلك نشأت بعيداً عن العشير والاتراب ، وربما صار هذا سبباً لحبي الوحدة وسوء الظن بالعالم ، والسوداء التي تعذبني أحياناً حتى الآن .

وفي سنة ١٨٩٣ دخلت المدرسة الاعدادية (الجيمناز) في ڤيلنا ، وأكملت دروسها سنة ١٩٠١ . وكانت مدرستنا من أشهر المدارس في ولايتها من حيث تاريخها وترتيبها . قامت على أساس الكلية الڤيلناوية التي أُلغيت سنة ١٨٣٣ على اثر الثورة البولونية على روسية . وأصبحت مكتبة الكلية مكتبة عامة ، وبقي قسم منها

في مكتبة المدرسة ، ولذلك رأيت فيها بعض كتب المشرقيات كمؤلفات العلامة دي ساسي · وقد حاولت في الصف الاخير ان أتعلم اللغة العربية من كتابه في الصرف والنحو المشهور ، ولم يتيسر لي ذلك لضخامة الكتاب وعدم المرشد · تخرّج من كليتنا وفي مدرستنا عدد ليس بقليل من علماء المشرقيات المشهورين في روسية مثل سينكوفسكي المعلم الاول للغة العربية في كلية لينيغراد من سنة ١٨٢٠ الى سنة ١٨٤٥ وتورايف عضو اكاديمية العلوم ومؤسس الابحاث في قدماء المصريين في روسية المتوفى سنة ١٩٢١ · وقوتويتش أستاذ اللغة المغولية في كلية أووف من بلاد بولونية الآن ·

وكنت أحفو ايام الطلب الى علوم اللغات والآداب ، لا سيما اللغات « الميتة » اللاتينية واليونانية · ومما كان يلذني و يشوقني تعلم أغاني هوميروس والروايات التمثيلية التي كتبها شعراء اليونان فكنت استظهرها وأترجمها · وكذلك كنت أحب علم التاريخ والإنشاء ، وكنت أتمرن في نظم الشعر ولكن لم أظفر منه بطائل · اما الرياضيات والطبيعيات فلم تتق اليها نفسي ، فلذلك كنت غير قاصر فيها ، وأحرزت قصب السبق بين أقراني ونلت نوط الذهب عقب المدرسة ·

ولم أتجاوز السادسة عشرة من عمري حتى قويت أميالي وتعينت غرائزي وصرت أفكر فيما أجعله غرض حياتي ، وقد رأيت بعد بحث طويل ان العلم يجذبني اليه بقوة سحرية ، وان الشرق يكون ميدان أفكاري · ولا غرابة فقد زرت الشرق في طفولتي وكان ابداً يتمثل نصب عيني · وكان لي مثال آخر في شخص ابي فاني كنت أراه مكبّاً على الكتب والاوراق في الليل والنهار يبحث عن ماضي الزمان ورجاله ·

وفي سنة ١٩٠١ دخلت قسم اللغات الشرقية في جامعة لينيغراد مدفوعاً بعامل الميل وهوى النفس انضممت الى سلك تلاميذ فرع لغات الشرق الاسلامي · فصرفت اربع سنوات في دراسة اللغة العربية والفارسية والتركية والتتارية وبعض اللغات السامية كالعبرانية ولا سيما الحبشية القديمة ، ودرست هذه الاخيرة على وطنيّ العلامة تورايف ، ولطالما فكرت ان أخصي فيها وأتعمق لكن اللغة العربية غلبت ضرتها وجذبتني جملة اليها · وكنت أدرس تاريخ الشرق الاسلامي برياسة العلامة بَرتولد الذي ترجمت بعض تآليفه الى اللغة التركية مؤخراً · وله التأثير المهم في حياتي العلمية

فانه باسلوبه السديد المتين وانتقاده المدقق أطلعني على أسرار فلسفة التاريخ · وكذلك درست علم اللغات العام على العالم ميليورانسكي المنتقل الى رحمة ربه سنة ١٩٠٦؛ وعلم تاريخ الآداب العامة على العلامة اسكندر فيسيلوفسكي ، وهو من أكبر علماء العالم بأسره في هذا الفن · وكان له في نفسي تأثير قوي كتأثير برتولد في التاريخ ، وغدوت من ذلك الوقت أفكر في تطبيق أسلوبه التشبيهي على تاريخ آداب اللغة العربية ، وارجو ان أكون بلغت شيئاً من ذلك في مؤلفاتي عن العربيات ·

اما العلوم العربية فدرستها على الاستاذ ميدنيقوف مؤرخ فلسطين المشهور المتوفى سنة ١٩١٨؛ الذي أثنى على تآليفه الكونت كايتاني من اعضاء المجمع العلمي العربي اما عمدتي في العربية فهو العلامة فيكتور فون روزن عضو اكاديمية العلوم الذي طارت شهرته في بلاد الغرب والشرق (راجع المشرق سنة ١٩٠٨ ص ١٧٣—١٧١ والبشير عدد ١٨٤٥ للسنة ذاتها) · وكنت ايضاً أختلف الى بعض اولاد العرب الساكنين في روسية كفضل الله صروف الدمشقي المتوفى سنة ١٩٠٣؛ وانطون خشاب الطرابلسي آخذ منهما قليلاً من اللغة العربية الدارجة · ولقد أنجزت دروسي في الكلية سنة ١٩٠٥ نائلاً مدالية الذهب مكافأة لتأليفي عن خلافة المهدي العباسي آخذاً عن المصادر العربية كالطبري وابن الاثير والعيني والمسعودي وغيرهم ·

وبعد انتهاء دروسي في الجامعة كنت أواصل دروسي تحت انظار البارون روزن المومااليه خلال سنتين · وفي أواخر سنة ١٩٠٧ قدمت الفحص لنيل رتبة الماجسطروس في الآداب العربية · وبعد اشهر قليلة توفي استاذي البارون روزن وكانت وفاته ضربة هائلة علي ، شوشت صحتي وحركت المرة في ، ولا غرو فاني كنت آخر تلاميذه وكان يحميني بالطفه المشهور بنيامينه الصغير ·

وفي صيف تلك السنة نفسها أرسلتني نظارة المعارف وجامعة بطرسبرج الى الشرق العربي لتعلم اللغة العربية الدارجة والتعرف الى علماء العربيات والنظر في عوائد ابناء الشرق وآدابها · وقد قضيت سنتين بعيداً عن الروسية زرت خلالها مدن سورية وفلسطين ومصر وتوغلت في ربى لبنان وقنانه ومروج الجليل وصحاري مصر أزور حيناً المكاتب المشهورة وحيناً أجلس أمام العلماء المكرمين ، وتارة أختلف الى المدارس

الكبيرة كالكلية اليسوعية في بيروت والجامع الازهر والجامعة المصرية في مصر وزرت في سياحاتي مكتبة الملك الظاهر في دمشق والمكتبة الخالدية في القدس ومكتبة الموارنة في حلب والمكتبة الخديوية في القاهرة وغيرها مما تسنى لي الدخول والاشتغال فيه وجمعت المواد العديدة وكتبت بعض المقالات والانتقادات والاشعار المنثورة في الجرائد والمجلات العربية والروسية ٠

وتعارفت خلال إقامتي في الشرق العربي الى كثير من علماء العرب وأدبائهم وصحافييهم ولا أنسى لطفكم وعنايتكم مدى الدهر ٠ وكان هذا اللطف العربي المشهور من اهم الاسباب التي جذبتني الى الشرق جذبة لا اتخلص منها ما دمت حياً ٠ تعرفت الى كثير من العلماء الذين صاروا من اعضاء المجمع العلمي المكرمين فيما بعد ٠ ففي القاهرة عرفت جرجي زيدان الذي اخترمته المنية سنة ١٩١٤ واحمد زكي باشا عضو المجمع العربي الحالي والاستاذ نالينو الطلياني ، وفي فلسطين السيد خليل السكاكيني والشاعر الفاضل إسعاف النشاشيبي ، وفي بيروت حضرت دروس الاب العلامة لويس شيخو ، وفي دمشق زرت إدارة مجلة المقتبس الغراء ٠ واستفدت في هاتين السنتين اكثر مما استفدت طول حياتي ٠ ولا أزال ارجو ان يرزقني الله رؤية تلك البلاد المحبوبة ومسامرة اعيان علمائها مرة ثانية ، ثم الله أمنيتي بالخير فهو السميع المجيب ٠

وبعد رجوعي الى الروسية عُينت في صيف سنة ١٩١٠ مديراً لمكتبة فرع اللغات الشرقية في كلية لينغراد ، وفي خريف هذه السنة صرت معلماً ثانياً للعربيات فيها وفي سنة ١٩١٤ سافرت الى اوربا لادرس بعض المخطوطات في مكانيها المشهورة مثل ليبسيك وهالة ولا سيما ليدن من بلاد هولاندا التي طارت شهرتها في الدنيا بسبب مجموعها في الكتب ٠ وقد اغترف منها كثير من علماء المشرقيات في اوربا ٠ وعُينت سنة ١٩١٧ معلماً اول للعربيات في المدرسة المذكورة ، ولم ازل اجتهد في هذه الوظيفة حتى الآن على قدر الامكان في تقلبات الزمان ٠ وقد اصاب الدهر المستعربين غيري في لينيغراد ٠ فمات الاستاذ الاول ميدنيقوف سنة ١٩١٨ وتوفي الاديب كوزمين احد تلاميذي سنة ١٩٢١ وقد كان مدة سنتين معلماً ثانياً في جامعتنا ، وعين صديقي

الفاضل الاستاذ شميدت سنة ١٩٢٠ مديراً لمدرسة اللغات الشرقية في تاشكند من بلاد ما وراء النهر وبقيت الى الآن اداًب وحدي في التعليم ٠

وفي سنة ١٩٢١ انتخبت عضواً عاملاً في اكاديمية العلوم الروسية في قسم التاريخ واللغات فجلست في مجلس كان فارغاً بوفاة استاذي البارون روزن منذ سنة ١٩٠٨ ٠ وفي السنة التالية انتخبت كاتماً لاسرار القسم المذكور ٠

وفي سنة ١٩٢٣ انتخبت عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي في دمشق ، وكان ذلك اكبر شرف نلته مدة عمري وصار هذا التشريف مساعداً لي ومشجعاً في احوالنا الصعبة ٠ ورأيت فيه تقديراً أتفاخر به لاتعابي في التعليم والبحث والتأليف منذ عشرين سنة ٠

اما مؤلفاتي العلمية التي بدأت بكتابتها وطبعها من سنة ١٩٠٤ فجاوزت ان لم اقل كلها في آداب العرب من بحث وترجمة وشرح وانتقاد ، وكتاب ومقالة ومحاضرة وملاحظة وعددها يربو على المائتين ولذلك لا يمكن وصفها بتدقيق ٠ وقد طبع فيرستها سنة ١٩٢١ وقت انتخابي عضواً في اكاديمية العلوم الروسية ولكم في تقدير عملي العلمي ثلاثة من اعضاء الاكاديمية الاخصائيين في علوم الشرقيات ، وقد طبع تقريرهم مع الفهرست المذكور ولذلك اكتفيت بالاشارة اليه ٠ ودوائر ابحاثي ثلاث : الاولى منها تاريخ الشعر العربي ونقده منذ قديم الزمان الى ايامنا هذه ٠ والثانية آداب اللغة العربية بين نصارى العرب ٠ والثالثة تاريخ آداب اللغة العربية منذ نهضتها الاخيرة في القرن التاسع عشر ٠ وهذا الموضوع الاخير مما افتخر به فإني اول من كتب بالروسية فيه ، وقلَّ من كتب عنها من المستشرقين في اوربا ٠ ولذلك قرظ مؤلفاتي تقريظاً حسناً المرحوم مارتين هارتمن الذي كان مطلعاً على احوال العرب الادبية بشاهداته الشخصية والاقامة بين اظهرهم ٠

ورجائي الآن ان أواصل ابحاثي في هذه الدوائر الثلاث وان يتيسر لي طبع ما تراكم لديَّ من الآثار الادبية والابحاث والمقالات ٠ فهذه هي أمنيتي الوحيدة والرجاء ان يبلغني تعالى سؤلي وان مع العسر يسراً وكل ضيق فالى فرج قريب ٠

الاستاذ كليان هوار

فجع المجمع العلمي العربي بعضو عظيم من اعضائه ونابغة مع نوابغ المشرقيات في المغرب المرحوم العلامة كليان هوار · ولد في باريز يوم ١٥ شباط ١٨٥٤ وتخرج في مدرسة اللغات الشرقية ونال شهادتها وشهادة مدرسة الدروس العالية (شعبة العلوم التاريخية واللغوية) ثم عين ترجماناً مبتدئاً في قنصلية فرنسا بدمشق في ١ آب ١٨٧٥ ثم ترجماناً ثالثاً في سفارة الاستانة ١٨٧٨ — ١٨٨٥ فترجماناً ثانياً ١٨٨٥ — ١٨٩٢ فقنصلاً من الدرجة الثانية في ٩ آذار ١٨٩٢ فكاتم اسرار مترجماً في باريز ١٠ تشرين الاول ١٨٩٨ فمندوباً عن وزارة الخارجية في مؤتمر المستشرقين في الجزائر ١٩٠٥ فكاتم اسرار مترجماً من الدرجة الاولى في ١ نيسان ١٩٠٧ فمندوباً عن وزارة الخارجية في مؤتمر المستشرقين في كوبنهاغن عن سنة ١٩٠٨ فقنصلاً عاماً في ١١ تموز ١٩١٢ ·

وقد انتخب عضواً في المجمع العلمي الافرنسي (Institut) في ١٧ كانون الثاني ١٩١٩ وكاتم اسرار مترجماً من الدرجة الاولى للحكومة لدى وزارة الخارجية في اللغات الشرقية وكان استاذاً في مدرسة اللغات الشرقية الحية ومدير الدروس في مدرسة الدروس العالية العملية (شعبة العلوم الدينية) ونائب رئيس المجمع العلمي الافرنسي(١) ثم انتخب باجماع الاصوات رئيساً له لسنة ١٩٢٧ ·

وله عدة تآليف منها ما احياه بالنشر ككتاب البدء والتاريخ للمختار بن طاهر المقدسي المنسوب لابي زيد احمد بن سهل البلخي وهو في ست مجلدات نشره مع ترجمته بالافرنسية · وكتاب الآداب العربية باللغة الافرنسية وتاريخ بغداد وكتاب الخطاطين والنقاشين في الشرق الاسلامي وكتاب دين الباب وكتابات عربية في آسيا الصغرى · وقونية مدينة دراويش المولوية · ومختصر نحو اللغة الفارسية · وانيس العشاق مترجم عن الفارسية · ووثائق فارسية عن افريقية وكتابات عربية وفارسية في جامع كي فونغ فو وسينكانفو في الصين · وتاريخ العرب في مجلدين

(1) Académie des Inscriptions & Belles - Lettres

(وقد ترجم هذا الاخير الى الالمانية) وكمها باللغة الافرنسية الى غير ذلك من الكتب والرسائل والقوائم والفهارس والتقاريظ والانتقادات والمقالات التي نشرها في مجلة العالم الاسلامي والمجلة الآسياوية ومجلة تاريخ الاديان ومجلة الانتقاد والمجلة السامية والمعلمة الفرنسية الكبرى والمعلمة الاسلامية وهو يحسن من اللغات الشرقية العربية والفارسية والتركية . وتقديراً لعلمه مُنح عدة اوسمة من حكومته والحكومات العثمانية واليونان وتونس والمغرب الاقصى والعجم .

وانتخب الفقيد عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق . وكان عالماً بلغات الشرق الاسلامي ودينه وآدابه وفنونه . وكان غيره متخصصاً باحدى اللغات العربية او الفارسية او التركية اما هو فكان عالماً بكل منها ويُدرس جميعها . ولكن اللغة العربية اجتذبته فكان يفضلها على سواها فاختصها بأثمن اوقاته واستغرقت اكثرجهوده لانه ممن يعتقدون بما للعربية من التأثيرات المستمرة في منازع الشعوب الاسلامية وآدابهم وفنونهم ويرى بانه لا يتيسر لاحد معرفة احداها الا اذا كان ضليعاً من العربية . ولذا كان يلقي درسه في تفسير القرآن الكريم في مدرسة العلوم العليا بباريز باللغة العربية وان قلّ المستفيدون منه لعدم معرفتهم لغة الكتاب العزيز .

كان السيد هوار آية في بعد الهمة ومضاء العزيمة والدؤوب المتواصل في التأليف والنشر مشهوراً بسعة المادة واختيار الموضوعات الطريفة المفيدة . وقد كانت له صلات علمية متصلة مع المجمع العلمي العربي بدمشق منذ اول انشائه ومما نشره في مجلته مبحث ممتع في « الدروس العربية في فرنسا » (مجلة المجمع م ٥ ص ١٥٧) دل به على بعد غوره وفضل تحقيقه وانه من اساطين المشرقيات العربية في فرنسا .

بعد فقد الاستاذ هوار خسارة على علوم المشرقيات في الغرب والشرق ، وهو معروف جدّ المعرفة في بلاد العالم الغربي . وقل من ضرب في العلوم الاسلامية بسهم الا وطالع كتبه واخذ منها . لاجرم انه كان في طليعة اعيان علماء المشرقيات لا في فرنسا فقط بل في اوربا واميركا ايضاً . وقد ظل على متابعة ابحاثه وتآليفه الى آخر ايام حياته . اجزل الله ثوابه وعوض العلم عنه خيراً .

جعفر الحسني

آراء وافكار

« الشام » في معلمة الاسلام

كتب الاستاذ الاب لامنس (Lammens) في آخر جزء صدر من معلمة الاسلام (Encyclopédie de l. Islam) مبحثاً في «الشام» وقعت له فيه هنات لا يصح الاغضاء عنها ، فمنها (ص٣٠٢) في فتح الشام ان الأعراب بعدة الردة وقيام ابي بكر الصديق تألفوا عصابات عملاً باشارة الرسول او بغية غزو بلاد خلت من حماتها فرحلوا الى الشام وقابلهم سرجيوس قائد قيسارية للروم فغلبوه في داثن وكان في قلة من المتطوعة ثم ذكر ان خالد بن الوليد خف من العراق وهزم الروم في أجنادين بين ايليا وبيت جبرين ثم انهزم العرب في فحل الخ • ومعنى هذا ان مبدأ الفتح كان بعصابات على عهد ابي بكر فقط ، مع ان جميع كتب التاريخ مجمعة على ان صاحب الرسالة (عليه الصلاة والسلام) انتدب في حياته الشريفة خمس غزوات الى الشام وهي غزوة دومة الجندل (في اول تخوم الشام) وغزوة مؤتة في ارض الشام وغزوة ذات السلاسل وغزوة تبوك وغزوة ابن زيد وفي عهد الخليفة الاول أرسلت الجيوش تباعاً دراكاً بقيادة جلة من الصحابة ومنهم خالد بن الوليد وكانت وقعة اليرموك هي الوقعة الفاصلة ، ولم يكن جيش العرب اقل من ٣٥ الفاً وجيش الروم نحو ٢٠٠ الف أنجد مرات • وأراد الاب لامنس ان يصغر من شأن هذا الفتح فنسبه الى عصابات مع انه كانت حرب بهم حرباً منظمة ولم يترك الروم في قوس المقاومة منزعاً • وما كان يقصد من الفتح الا الغزو والغنائم فقط كما قال •

وقال (ص٣٠٤) ان الحركة العقلية كانت في العهد الأموي قاصرة على الشعر وفي رأسها الشاعر التغلبي الأخطل النصراني والخليفتان يزيد الاول والوليد الثاني • مع ان شعراء الأمويين عدوا بالعشرات • والحقيقة ان الحركة العقلية لم تكن أدبية فقط فان خالد بن يزيد الأموي في دمشق امر بان تترجم له كتب الطب والنجوم والكيمياء وجلب فلاسفة من مصر والروم وأغدق عليهم الاموال لذلك • وأنشأ اول خزانة للكتب في دمشق بل في بلاد الاسلام • ثم جاء عمر بن عبد العزيز فأمر ان يترجم كتاب

اهرن بن اعين) . فالحركة اذاً لم تكن أدبية صرفة بل علمية فنية ولم يكن الأخطل النصراني والخليفتان الأمويان متأثرين وحدهم بهذا الفضل (راجع كتابنا خطط الشام ج ٤ ص ١٨ — ٢٤) .

وذكر (ص ٣٠٤) ان القدرية اخذوا مبادئهم الفلسفية من مواطنيهم النصارى وليس لهذا القول مستند يركن اليه وكان ادعاه في كتابه مختصر تاريخ سورية فرددناه عليه (مجلة المجمع م ٣ ص ٢٧١ و٣٣٧) . وقال ايضاً ان زراعة الشام ظلت زاهرة رغم إرهاق السكان بالضرائب مع ان الروم من اهل البلاد كما ثبت في التاريخ كانوا راضين عن هذا الحكم العربي اكثر من حكم الروم وتبين لهم الفرق بين الإدارتين العربية والرومية .

وزعم ان نصارى لبنان حاولوا التخلص من مظالم عمال خلفاء بغداد فلم يفلحوا . مع ان نصوص التاريخ صريحة في ان الذين قاموا من اهل لبنان لم يكن قيامهم لمقاومة الظلم بل كانوا عمالاً لصاحب الروم وما كان لبني العباس ان يغضوا الطرف عمن يعمل لاعدائهم ويكيد لهم في ملكهم .

وقال (ص ٣٠٥) انه كان في دمشق معمل للورق في القرن العاشر للميلاد مع ان معامل الورق كانت في دمشق وطبرية وطرابلس وحماة وحلب ومنبج وبدأت منذ اواخر القرن الثامن . وتدل القرائن على ان الوراقة كانت معروفة في الشام في اوائل الاسلام (خطط الشام ج ٤ ص ٢٤٣) .

وقال (ص ٣٠٦) ان الصليبيين فتحوا طرابلس في جملة ما فتحوه من الساحل لاول انثيالهم على البلاد مع انه ثبت في التاريخ ان ابن عمار صاحب طرابلس وقاضيها عاهدهم على ان يجتازوا من وراء مدينته وبقيت طرابلس بيد ابن عمار بضع سنين اوائل دخول الصليبيين . فكانت طرابلس آخر ما اخذه الصليبيون من مدن الساحل . ومما قاله لن مدن الداخل قبلت ان تدفع الجزية للصليبيين وكان ما ادوه اموالاً تصالحوا عليها حتى لاتخرب البلاد . ودمشق لم نذكر انها أدت شيئاً من هذا القبيل . وغلا في تقدير عدد الاجانب في دولة دمشق اليوم فأوصلهم الى ٤٩٠٠٠ في حين جعل عدد الاجانب في دولة حلب ٣٠٠٠ ولعله يريد ان يحذف صفرين فيكون عدد الاجانب في دولة دمشق

٤٩٠ ٠ وذكر ان الشام اليوم تتاخم مملكة العراق من الغرب والصحيح من الشرق٠ وادعى ان العباسيين خلوا على عدائهم للعلماء من الشاميين ولذلك كان عملهم من العوامل التي حالت دون تقدم الافكار على ان العباسيين لم يضطهدوا من الشاميين لو من عقلائهم وعلمائهم الا من جاهروهم في محبة الأمويين ومن عداهم نزلوا بغداد على الرحب والسعة وشاركوا في الحركة العلمية ومنهم بقمة من التراجمة والعلماء النصارى ، على ماذكرذلك القفطي وابن ابي أصيبعة ، ولكن كان الاولى ان يقال ان الحركة العلمية في الشام انتقلت الى دار السلام . وذلك بطبيعة الملك لان الخلفاء واهل الدولة كانوا في العراق وبعد الدور الثاني للعباسيين اخذت الشام تستقل عن بني العباس الا قليلاً ٠

وكان عليه ان يشير ولو بكلمة الى المدارس التي أنشئت في أمهات مدن الشام منذ القرن الخامس الى التاسع للهجرة ليدل بها على مدنية القوم كما حرص على الاعجاب بالبيع التي أقامها الصليبيون مثل بيعة جبيل وبيعة طرطوس وبيعة بيروت التي هي اليوم الجامع الكبير٠ فان هذه المدارس هي التي نشأ منها بالشام رجال الشريعة والادب والتاريخ والجغرافيا والفلك وناهيك بانه كان في دمشق فقط اربع مدارس للطب وواحدة للهندسة ٠

وكما قال ان الزراعة انحطت بدخول العرب الى الشام زعم ايضاً ان التجارة لم تقم لها قائمة منذ عهد يوستينيانوس الرومي حتى جاءت مراكب البنادقة والجنوبين والبيزيين في الحروب الصليبية . وفاته ذكر اساطيل معاوية بن ابي سفيان واخلافه ثم الطولونيين والفاطميين التي كانت مدة اربعة قرون تنقل التجارة في اكثر موانئ البحر الشامي كما تغزو اعداءها من الروم وجنوبي ايطاليا ٠

ولم يتعرض لذكر بعض المهندسين والفلكيين والرياضيين الذين قاموا في الشام على عهد الاسلام ٠ بل ذكر بعض المؤرخين والجغرافيين والادباء واثنين من حملة الشريعة فقط ٠ اما في العهد الاخير فلم يدوّن سوى اسماء اليازجيين ناصيف وابراهيم ، وبطرس البستاني ٠ وهذا كما ترى غمط لحق عشرات من الادباء والعلماء من المسلمين والمسيحيين الذين كانوا مادة المدنية الجديدة في الشام منذ أواسط القرن الماضي الى اليوم وهو ولا شك يعرفهم لكن يرفق عليهم لمقصد هو أعلم به ٠

هكذا يكتب الاب اليسوعي تاريخ الشام في هذا العصر وليته يقتدي بمن يكتبون

في هذه الحملة على بلاد الشام ايضاً أمثال سو برنهايم ممن يتجردون عن الغرض و يبعدون عن الاهواء المذهبية و ينصفون كل انسان و كل مجتمع ودولة · ومن الغريب ان هذا المؤرخ اذا نُبه الى خطإه لايناقش في الموضوع بل يقول ان ناقديه يحاولون ان تكتب لهم شهرة كشهرته ، وهم مغمورون خاملون جاهلون و يكيل له بكيل السخرية والمطاعن، بما يخرج عن حد النقد الادبي الذي هو حياة العلم والآداب ، فهو ابداً شعوبي من الطراز الاول يغمط حق العرب والمسلمين من خدمة الحضارة ، وسلاحه السفسطة يضعف كل حقيقة اذا جاءت على ايدي العرب والمسلمين ، و يصور الشام في ماضيها وحاضرها في بشاعة وان وجدت فيها الحسنات فهي لغير الفاتحين وأخلافهم ·

وبينا نكتب هذه السطور قرأنا في رسالة « آراء غريبة في مسائل شرقية » تعريب الاستاذ عمر فاخوري جملة للمسيو دينه وسليمان بن ابراهيم في نقد كتابات الاب لامنس وتحامله على الاسلام فما قالاه : ان الاب لامنس في تآليفه المشرقيات كبطرس الناسك في الحروب الصليبية وقد جبز بهمة لا تعرف الكلل صليبية دعية في العلم طمعاً بصرع الاسلام صرعة لا قيام منها · وقالا فيه ايضاً : كما ذكرت الاحاديث والاخبار خلة حسنة ممدوحة في محمد وصحابته رأيته يؤكد انهم كانوا مصابين بالعيوب المناقضة لتلك الخلال و بكلمة موجزة نقول ان طريقة الاب لامنس تقدم على « عكس » المنقول عكساً مطرداً مقصوداً · وقالا في الحاشية : لا يعدل الاب لامنس عن هذا الاسلوب الا حينما يجد أسلوباً أشد مكراً في سوق الخبر الى معاني السوء اه سامحه الله ·

م · ك

فَعَالِ في اللغة

« كل او جل ما ورد منه في كتب اللغة »

(بَلاَلِ) اسم مصدر من بَلَّ الرحم اذا وصله يقال هو براعي بَلالِ اي صلة الرحم ومنها «تبأَنك بعدها عندي بلالِ» (بَلاَءِ) البلاء (بَوارِ) اسم الهلاك · ومنه «نزلت بوار على الكُفَّار» · (تراكِ) اسم فعل معناه اترك كقوله :

تراكبا من إبل تراكبا اما ترى الموت لدى اوراكها

(جداعِ) السنة الشديدة التي تجدع بالمال وتذهب به ومنه «اجحفت بهم جداعِ» وهي السنة لانها تجدع النبات وتذل الناس . (خراجِ) كلمة تقال في الخريج وهي لعبة لهم . (حساس) كلمة يقولها من طلب شيئاً فلم يجده . (خزاقِ) شتم للمرأة معدول عن الخزق بمعنى الذرق وهو مما يلزم النداء . (دراكِ) اسم فعل بمعنى ادرك . (حدادِ حدّيه) كلمة تقال لمن تكره طلعته اي اصرفيه ومنه قوله «وحدّي حدادِ شر اجنحة الرخم» . (حزامِ) اسم امرأة تلقب بزرقاء اليمامة يضرب بها المثل في حدة البصر يقال هو ابصر من الزرقاء . (خناثِ) وصف للانثى وهو مما لا يستعمل الا في النداء يقال لها ياخناث اي يامتكسرة . (دبابِ) دعاء للضبع وهو اسم فعل بمعنى دبّي . (دفارِ) الدنيا — والامة ويقال للامة اذا شتمت يادفار وعن عمر انه قال للامة التي عنك الخمار يادفار أتتشبهين بالحرائر واكثر ما ترد في النداء . (عرارِ) اسم بقرة ومنه باءت عرارِ بكحلِ وهما بقرتان انتطحتا فماتتا جميعاً اي باءت هذه بهذه يضرب لكل مستويين . (فجارِ) اسم للفجور وهو معرفة كقوله فاحتملت برة وحملت فجار ويقال لمرأة يافجار اي يافاجرة وهي معدولة عن الفاجرة لا يستعمل الا في النداء . (فساقِ) شتم لها يقال يافساق للنداء فقط . (يافشاشِ) فشّيه من استه الى فيه اي افعلي ما شئت به مما به انتصار يضرب لمن يأتي امراً لا يقدر على اجرائه . (فياحِ) اسم للغارة تقول فيحي فياحِ اي اتسعي ياغارة وهو من قول مغاويرهم . (قثام) انثى الضبعان سميت به لانها تلطخ بجعرها ويقال للامة يا قثام . (نزافِ) اسم فعل للامر يقال نزاف ماء البئر اي استخرجه كله . (هجاج) ركب هجاج اي رأسه كقوله «وقد ركبوا على لومي هجاج» . (حمام) لا حمام اي لا اهمّ بذلك ولا افعله وجاء زيد حمام اي بحمهم . (وبارِ) ارض بين اليمن ورمال يبرين . (يعاط) زجر للذئب والخيل وقيل كلمة ينذر بها الرقيب اهله اذا رأى جيشاً قال :

وهذا ثمّ قد علموا مكاني اذا قال الرقيب الا يعاطِ

(جعارِ) قومي جعار شتم للامة على تشبيهها بالضبع (حلاقِ جذابِ جباذِ) الموت قال عمرو بن جميل :

فاجتبذت اقرانهم جباذِ ايدي سبا ابرح ما اجتباذ

وسميت المنية جذابِ لانها تجذب النفوس وحلاقِ لانها تحلقها (حباقِ) شتم لها لازم للنداء · (حدابِ) السنة المجدبة — وموضع · (حذارِ) اسم فعل بمعنى احذر كقوله «وحذار ثم حذار عنه محاربا» · (حضارِ) اسم فاعل بمعنى الحضر — ونجم يطلع قبل سهيل فيظن انه سهيل · (حناذِ) من اسماء الشمس لحرارتها ومنه :

تستركم العلجَ به حناذِ كالارمد استغفى على استيخاذ

(حمادِ لفلان) تقال للبخيل دعاء عليه اي لازال جامد الحال (حمادِ) له تقال في المدح اي حمداً له · (خنازِ) المنتنة · (دمارِ) اسم فعل للحض على الحرب · (رغالِ) الامة (سباطِ) الحمى تقول تمأهم سباط · (خباثِ) معدول عن خبيثة شتم لها لازم للنداء تقول ياخباث (خصافِ) فرس مشهور وفي المثل اجرأ من فارس خصاف · (وقاعِ) كية مدورة على الجاعرتين · (يباسِ) السوأة او الفندورة (يسارِ) الميسرة يقال أنظرني حتى يسار · (براحِ) الشمس يقال دلكت براح · (خطافِ) من اسماء كلاب الصيد · (سماعِ) اسم فعل بمعنى اسمع · (سجاحِ) اسم امرأة ادعت النبوّة قال الحريري «انبا ومرسل الرياح · لا كذب من سجاح» · (سرابِ) اسم ناقة البسوس التميمية التي قُتل كليب فيها فثارت الحرب بين البكريين والتغلبيين اربعين سنة لاجله فصارت مثلاً في الشؤم يقال هو اشأم من سراب · (شجاذِ) المطرة الضعيفة معدول عن الشجاذ بمعنى الاقلاع · (شلالِ) اسم للشلل يقال في الدعاء له لا شلالِ اي لا تشلل يدك · (حرامِ) من اسماء الحرب · (ظفارِ) بلد باليمن قرب صنعاء · (عفالِ) شتم لها يقال يا عفالِ · (عقاقِ) اسم للعقوق بالوالدين · (علاقِ) اسم فعل للامر بمعنى تعلّق · (غدارِ) شتم لها يقال ياغدار خاص بالنداء (نعاء) اسم فعل للامر بمعنى إنعَ قال الاصمعي كانت العرب اذا مات منها ميت له قدر ركب راكب فرساً وجعل يسير في الناس ويقول نعاء فلاناً اي انعَهُ واظهر خبر وفاته · (يا رطاب) كلمة تسب بها الامة · (ظفارِ) كل ارض ذات مغرّة[1] · (لزامِ) يقال سبة لزام وضربة لزام اي لازمة · (مساس) اسم

(١) كذا بالتشديد وصوابه مَغْرة بالتخفيف وهي الطين الاحمر يصبغ به وتسمى هذه الارض ايضاً (المَمْغرة) (المجمع)

فعل بمعنى مسّ . ولا مساس اي لاتمسّ . وهو من الشواذ . (عواد) اسم فعل بمعنى عد (كرار) خرزة للتأخيذ تقول الساحرة يا كرار كرّيه ويا همرة اهمريه ان اقبل فسرّيه وان ادبر فضرّيه . (بداد) جاءت الخيل بداد اي متفرقة ومنه قوله :

وذكرت من لبن المحلّق شربة   والخيل تعدو في الصعيد بداد

وياقوم بدادِ او بدادِ بدادِ اي ليأخذ كل رجل قرنه . (خذاق) شتم لها خاص بالنداء . (حلاح) علم لمكة وقد تعرب . (صمام) علم للداهية الشديدة . وصمّي صمام اي زيدي يا داهية . وصمام صمام بمعنى الامر اي تصامّوا في السكوت . (طبار) الداهية وبنات طبار الدواهي . (غثار) علم للضبع . (فعال) اسم فعل بمعنى افعل . (فغار) طعنة فغار اي نافذة . (قشاح تقاث) الضبع . (ملاع) اسم ارض . (نضاد) جبل بالعالية . ويؤنث وتميم تجريه مجرى ما لا ينصرف . (مناع) اي امنع . (نظار) اسم فعل للامر بمعنى انتظر . (قثام) اي اقثم اسم فعل مطرد عند سيبويه وموقوف عند ابي العباس . (ضراح) اسم فعل بمعنى إضرح . (كلاح) السنة الجدبة . (امرأة لكاع) لئيمة . لا تستعمل الا في النداء وهي معدولة عن لا كعة . (كفاف) معدولة عن الكفاف بمعنى المثل يقولون دعني كفاف اي كُفّ عني وأكفّ عنك . (قثام) الغنيمة الكثيرة (قطان) علم للامة . (قفاس) الامة اللئيمة الرديئة . (نزال) اسم فعل للامر بمعنى انزل للواحد والجمع والمؤنث . (أبابِ أبابِ) اي لا بأس وهي لغة حميرية . وقيل أباب الكلأ مأخوذة من هذا (جعار وام جعار) علم للضبع . تيسي جعار او عيثي جعار مثل يضرب في إبطال الشيء والتكذيب به وانشد ابن السكيت

فقلت لها عيثي جعار وجرّري   بلحم امرئ لم يشهد القوم ناصره

«روغي جعار وانظري اين المفرّ» مثل يضرب لمن يروم ان يغلب ولا يقدر على ذلك . (لطاط) السنة الحاجبة عن الخير الساترة . (طمار) المكان المرتفع يقال هوى من طمار وانصبّ عليه من طمار . وبنات طمار الدواهي . (ازام) الشدة . (لحاص) اسم للشدة والاختلاط والداهية — وخطة تلحصك اي تلجئك الى الامر . (سكاب) اسم فرس .

النبك   سالم خليل رزق

مطبوعات حديثة

ماقي السبيل في مذهب النشوء والارتقاء

« تأليف اسماعيل مظهر طبع في المطبعة العصرية بمصر في ٣٤٢ صفحة »
« بالقطع الوسط »

الاستاذ اسماعيل بك مظهر من الذين ضربوا في الفلسفة بسهم وافر وهو واسع الاطلاع عليم بكثير مما صنفه الافرنج في ضروب الفلسفة ٠ وفوق ذلك فهو جاد يستعمل القلم في نقل معلوماته الى العربية فيخدم بذلك ابناءها ٠ ومما نشره اخيراً هذا الكتاب المفيد فجاء في اثني عشر فصلاً وهي « تمهيد ومقدمات ، الرأي المادي ومذهب النشوء ، دارون والماديون ، مذهب النشوء ازاء الدين والآداب ، نظرة عامة في الرد على الدهريين ، اختلاط المقاصد في الرد على الدهريين ، الانقلاب الجنيني واثره في تأييد مذهب النشوء قدم الأنواع وعلاقة الجيولوجيا بمذهب النشوء ، علاقة المتحجرات بمذهب النشوء ، اثبات مذهب النشوء بتعاقب المتحجرات خلال العصور الجيولوجية ، اصل الانسان ازاء مذهب النشوء ومذهب دارون في العصر الحاضر » ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طالعت هذا الكتاب فرأيت ان ألفت نظر المؤلف الفاضل الى الامور الآتية :

اولاً ٠— طعن بالماديين في الصفحات ٤٥و٤٦و٤٧ وسفه رأيهم واتهمهم بالالحاد ٠ ولو أنصف لطعن بالملحدين وحدهم ولفرق الفلسفة المادية عن الالحاد لان الاستاذ لا ينكر ان عنوان كتابه قائم على بحث من ابحاث العلوم المادية وان العلوم لم تتقدم الا لما اخذ الانسان يبحث عن النواميس الطبيعية بأسلوب مادي او يقيني تاركاً البحث عن العلل الاولى والماهيات الى ارباب الدين وأصحاب الفلسفة الغيبية ٠ فالفلسفة المادية تقضي بعدم البت في حادث لا يقره العلم ولا يقع تحت الحواس ٠ فاذا اتيتها ببراهين علمية ملموسة صدقتك والا بينت لك وجه الخطأ ٠ فاما اذا رأت نفسها قاصرة عن ان تحيط بحقيقة ما تبديه فسرعان ما تعترف بجهلها وبان العلم لم يدرك بعد حقيقة هذ الحادث ٠ وهنا بيت القصيد اي ان الفلسفة المادية لا تلزم صاحبها بانكار وجود الخالق بل تدعوه الى عدم البت فيما لا يقوم عليه دليل علمي وهو بعد حر بان يعتقد بالخالق

و بالاديان عن طريق المحاكمة العقلية او لا يعتقد . وكثير من الفلاسفة الماديين يعتقدون بإله عاقل في تعليل الكون ومنهم داروين نفسه وليس كل فيلسوف مادي ملحداً ولكن يكثر عدد الفلاسفة الماديين الذين ان سألتهم رأيهم في المبدإ والنهاية والعلة الاولى أجابوك بلا ادري لانها لا تمسها الحواس بل لانها تخرج عن دائرة أبحاثهم هذا مع اعتراف الجميع بفوائد الدين الاجتماعية والادبية . وكأني بالمؤلف الفاضل اخذ على نفسه معاكسة الدكتور شميل في مذهبه في حقيقة الدين حتى استرسل في آراء فلسفية لا علمية قدر ماتمسك الدكتور في محدودات مادية .

ثانياً . — ذكر في الصفحة ٤٩ الى ٥٣ وظيفة الدين الاجتماعية فبين تأثير الاديان اي « وازع مابعد العقلية في ضبط سلوك الانسان تجاه الجماعة » وقال : « بعدم امكان قيام نظام اجتماعي على اساس الشرائع الوضعية » وياليت المؤلف انصف ونحن في القرن العشرين فاعترف بتأثير كثير من الشرائع المادية والمبادئ الاجتماعية غير الدينية في تنظيم حياة الجماعات ومدنيتها دون ان يكون في اعترافه ادنى مس للاديان او تنقيص لفوائدها الاجتماعية والادبية .

ومن الغريب انه ختم بحث وظيفة الدين الاجتماعية بقوله : « ذلك هو الدين واثره فهل يجحده بعد الماديون » . فمتى جحد أصحاب الفلسفة المادية الفوائد الاجتماعية العظيمة التي أفادتها الأديان منذ أقدم العصور الى اليوم . وهذا اوغوست كونت نفسه مؤسس الفلسفة المادية قد أطنب في فوائد الدين الاجتماعية اطناباً عده كثيرون اغراقا .

وفي تضاعيف الكتاب جمل كثيرة سفه بها الاستاذ المصنف آراء الماديين لا سيما في بحث الاعتقاد بالله . اما انا فلا يمكنني ان أعلل طعنه واستنتاجاته الا بكونها مقصودة اي انه توخى الطعن لغرض او لاعتقاد لا لحقيقة ملموسة مادياً يقرها العلم او تقرها الفلسفة المادية التي لا ترتكز على الفرضيات البعيدة عن الحس ولا على الجدل والوهم والخيالات الفلسفية . هذا وقد كان بامكانه إثبات وجود العلة الاولى وكونها عاقلة مدبرة بالاستنتاجات العقلية التي مابرح أصحاب الفلسفة الدينية يطرقون أبوابها ، دون ان

يطعن بالفلسفة المادية لان هذه الفلسفة لا تخالفه الا بكونها تعترف بجهل الانسان عن إدراك الماهيات بطريقة علمية مادية وهذا ما لا ينكره احد .

ثم ان من يطالع الكتاب يحار في تبين مذهب المؤلف الفلسفي خصوصاً من حيث الأديان ، فهو بينما تراه يدافع عن الدين كل الدفاع واذا به يسكت عن معظم تعاليمه لانه لا يعتقد على ما يستنتج الا بوجود علة العلل اما اكثر القواعد الدينية الاخرى فهو يضرب صفحاً عنها لاسيما اذا كان العلم المادي لا يقرها (صفحة ٥٣ و٢٩٥) .

ثالثاً — ذكر « حظ العرب من البحث اليقيني » فعزا اليهم نقائص وهنات كثيرة وكاد يجردهم من كل أثر علمي او ادبي او فلسفي كل ذلك تمهيداً للرد على الشيخ جمال الدين الافغاني ولدحض ما ورد في رسالته « الرد على الدهريين » .

وهنا ايضاً حاد المؤلف الفاضل بنظري عن جادة الانصاف لانه لو سار في محاكمته على أسلوب يقيني محض لوجب ان يذكر ان العرب لم ينفردوا بأسلوبهم الغيبي (ثم بما يسميه الشك التقليدي) بل كان هذا الاسلوب طابع مدنية من عاشوا معهم ومن درجوا قبلهم ، وانه لا يرجى من شعب عاش في القرون الوسطى ان تكون جميع أبحاثه في مختلف العلوم يقينية باعثة الى إعجاب أساتذة القرن العشرين ، وان العرب حسبهم ان يكونوا في التاريخ حفظة العلوم القديمة وموسعيها في قدر ما بلغته طاقة البشر في هاتيك الايام . ولم ادر كيف خص المؤلف العرب وحدهم بالنقائص التي ذكرها مع انه قال في الصفحة الثامنة « زمان انطوى فيه كتاب مدنيتنا العربية تلك المدنية الشرقية البهجة التي ظلت منارة العالم المتمدن وكعبة سياسة الشعوب ومهبط وحي العلم والآداب ومنبع الفلسفة الفياض طوال القرون الوسطى » حقاً انني كدت اتهمه بالشعوبية لو لم أعد الى تلاوة ما أورده في الصفحة الثانية .

رابعاً — أظن ان الذي لا يكون قد درس دروساً اعدادية على الاقل ووقف على آراء العلماء في نواميس النشوء لا يقوى على فهم كثير من أبحاث الكتاب لان المؤلف لم يصنفه وفاقاً للطريقة المدرسية (Classique) فانا ارى انه كان من المفيد بل من اللازم ان يتلافى الاستاذ ذلك فيجمل في اول الكتاب بحثاً موجزاً في تعريف النوع والصنف والرس (العرق) ، وحصول التبدلات (التغايرات) في النبات والحيوان واشكال

هذه التبدلات وما يدعو الى حصولها ، ثم نظرية الوراثة وأشكالها ومايتنج عنها ، واخيراً الانتخاب الطبيعي فالانتخاب الصنعي وأشكاله وقواعده . ولا مشاحة في ان بحثاً كهذا يجعل فصول الكتاب أقرب منالاً على القارئ لا سيما اذا لم يكن له سابق عهد بهذه الموضوعات .

خامساً . — لم يعن الاستاذ بلغة الكتاب قدر عنايته بمعانيه ولذا جاء فيه من الجمل الركيكة والألفاظ المغلوطة عدد كبير وهذا بعضها :

١ — تراكيب في المنسوب والمنسوب اليه لا يألفها الذوق كالانقلاب الاسلوبي والانحرافات التركيبية والإرتقاء التشوئي والمثالية الأخلاقية والحركة التنبيهية والسببية العلمية والتقليد الشكي والشك التقليدي (للمعنى الواحد) والأطوار الانقلابية والمستكشفات التشريحية والعضويات الحفرية الى كثير من أمثالها في حين ان كتاب العرب في صدر الاسلام كانوا يعدلون حتى عن المستساغ من هذه الالفاظ الى استعمال المضاف والمضاف اليه فيقولون مثلاً انقلاب الاسلوب وانحراف التركيب الخ .

٢ — ألفاظ لم ترد في كتب اللغة بتاتاً او بالمعنى الذي يريده كالاستعاق والاستكشاف (بمعنى الإكتشاف) والتمفن والإرتكاز والإستحواذ والإدحاض وموضوعية العلم والاحتراز والأسبقية والتحت .

٣ — أفعال عداها بغير الحروف التي تتعدى بها مثل أثَّر على وهو يتعدى بحرف في . وباع على (صفحة ٤٤) وهو يتعدى بنفسه او بحرف من . وتأمل من وهو يتعدى بنفسه او بحرف في . وبحث الموضوع بدلاً من بحث عن الموضوع اوفيه . وأمل بالباحثين الى معرفة كذا بدلاً من اهابهم لمعرفة كذا . واضطر للعمل بدلاً من اضطر الى العمل .

٤ . — مسميات علمية لم يترجمها باسماء عربية سليمة او بالالفاظ التي اتفق كتاب العرب عليها فقال الثخ بدلاً من الطلع او غبار الطلع . والاستحمانة بدلاً من المهبل او المتك او السمة . والحفريات بدلاً من المتحجرات (Fossiles) . والتنويع بدلاً من الصنف (Variété) والصفة النافرة (Caractère dominant) عوضاً عن الصفة السائدة او البارزة (وان اتى فعل نفر بمعنى غلب) . والصفة المنفورة (C. recessif) عوضاً عن الصفة المتنحية او الكامنة .

٥ — غلطات شتى لا تغتفر وهي كثيرة مثل ليس سوى جسم (ذو) تركيب، ينكرون للعالم الخارجي (وجود حقيقي) في ذاته، لم يجعل لأثر الحالات الخارجية (شأن) يذكر، لا (يؤبهون) بالبراهين، مرّ على تاريخ الارض (عصوراً) ليقام له بين عشية وضحاها (تمثالاً) ·

والخلاصة ان كتاب الاستاذ اسماعيل مظهر بك على ما فيه مما يؤخذ به هو من أنفع الكتب الفلسفية · ولا أشك ان المؤلف الفاضل اذا تعاهد لغة مؤلفاته بعنايته واستقر على اتباع فلسفة بعينها فانه يخدم العربية خدمة كبيرة عن طريق الفلسفة لغزارة مادته فيها ·

عضو المجمع العلمي العربي

مصطفى الشهابي

الموشح

« في مآخذ العلماء على الشعراء »

ARCHIVE

تأليف ابي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ عنيت بنشره جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ وطبع بالمطبعة السلفية ويطلب من مكتبتها في مصر (ص ٤٧٧)

أحسنت هذه الجمعية كل الاحسان بنشرها مثل هذا الكتاب المفيد لمثل هذا الامام المحقق في مثل هذا المظهر البديع · فان العلامة المرزباني لم يطبع له فيما علمنا شيء حتى الآن مع ان تآليفه بلغت خمسة وخمسين مصنفاً ومنها ما وقع في خمسة آلاف ورقة او في عشرين مجلداً وهو واسع المادة، جيد التأليف، امام في اللغة والنحو والأدب والتاريخ، حتى قيل انه من محاسن الدنيا وانه كان في عصره أحسن تصنيفاً من الجاحظ · ومعنى المرزبان عند العجم الرجل المتقدم العظيم القدر او حافظ الحد · اما تصنيفه هذا فهو مجموع ما رواه عن أئمة هذا الشأن ممن وقفوا للشعراء جاهليهم ومخضرميهم واسلاميهم قدمائهم ومحدثيهم، يقومون لهم كلامهم وينقدون اشعارهم وينخلون جيدهم عن رديئهم · وقد اخذ المؤلف بواسطة عن القاسم عبيد بن سلام الجمحي صاحب طبقات الشعراء (المطبوع في ليدن) وروى ايضاً عن قدامة بن جعفر

صاحب نقد الشعر (المطبوع في الاستانة) واقتبس من الأشناندني صاحب معاني الشعر (المطبوع في دمشق) الى غيرهم من العلماء والباحثين . وروى السيد المرتضى في اماليه عنه كثيراً . وكذلك ياقوت الحموي في معجم الادباء . وكتابه يعلم من يتدارسه عيوب الشعراء ومنهم من لم يجر لهم ذكر الا في مطولات كتب الادب ، واكثرهم من المشهورين النابهين . ومن يقف على العيوب انتقادا ، ومن عرف السقطة تباعد عنها ، ولا يسلم من يأخذ نفسه باساليب البيان شعراً كان او نثراً او خطاباً الا اذا اطلع على ما اورده حذاق النقاد في نقد من عانوا هذه الصناعة من فحول الشعراء ورتوتهم في كل جيل . والكتاب نافع في بابه لكل أديب ومتأدب ، زادت به مادتنا من الامهات خصوصاً وهو من الكتب التي نقلها بخطه من أصول صحيحة نقلت عن خط المؤلف اللغوي الكبير في عصره محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي وعلق على الاماكن المشكلة منها ، ثم تعاورتها زمرة من الادباء في مصر بالتصحيح والشكل وجعل للسفر فهرس جميل باسماء الاعلام فجاء الكتاب مستوفى من كل وجه لا تجد فيه المغامز التي تعثر بها في اكثر ما يطبع لعهدنا من كتب الاقدمين لقلة العناية بتقويمها وخدمتها ومعارضتها بالاصول واتباعها بالفهارس التي تدل على مضامينها . وحبذا لو كثرت هذه الجمعية من طبع مثل هذه الاسفار التي تقربنا من الفصحى وتعلمنا مناحي البلغاء في تآليفهم واوضاعهم وتحيي آثاراً طالما أسهر فيها مصنفوها اجفانهم خدمةً للعلم العربي ولهذه الامة

محمد كرد علي

==((×÷×))==

الازهر

«ماضيه وحاضره والحاجة الى إصلاحه»

تأليف السيد محب الدين الخطيب طبع في المطبعة السلفية بمصر في ٥٥ صفحة بالقطع الصغير

لم يفكر احد في موضوع الإصلاح الإسلامي والنهضة الإسلامية الا وجه نفسه وأعمل قلمه في بيان فضل الأزهر ومبلغ تأثيره في الاصلاح المنشود فهو بالنسبة الى العالم

الاسلامي كالقلب بالنسبة الى الجسد . وصلاح الجسد بصلاح مضغته كما ان صلاح الاسلام بصلاح أزهره . ولكن توجد صعوبة في امر فهم ذلك الاصلاح والاتفاق على طريقة الوصول اليه بين المفكرين من فضلاء الكتاب المسلمين وبين القائمين بشؤون الأزهر واول من عالج هذه القضية وقاسى منها ما قاسى هو أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده وقد قام على أثره اليوم احد محبيه المتبعي طريقته في الاصلاح الاسلامي صديقنا السيد محب الدين الخطيب صاحب مجلة (الزهراء) والمطبعة السلفية فوضع هذا الكتاب الموجز في حجمه المسهب في فائدته . فأتى اولاً على تاريخ الازهر وما هي أوضاعه وأروقته وكتبه ومشايخه من القرن الحادي عشر الهجري الى اليوم ثم ذكر مبلغ تأثيره في التجدد او النهضة الاسلامية اذا أُصلحت مناهجه وطرق التعليم فيه فالبحث جليل في موضوعه عظيم في الهدف الذي يرمي اليه .

المغربي

اتجاه الموجات البشرية

«في جزيرة العرب»

تصنيف السيد محب الدين الخطيب ايضاً طبع في المطبعة السلفية بمصر

في ٧٢ صفحة بالقطع الصغير

السبب في وضع هذا الكتاب ان المستر توينبي كتب مقالاً علل فيه اندفاع الموجات العربية من جزيرة العرب حيناً بعد حين — عللاً لا ينطبق على الحقيقة ولا يتفق دائماً مع الاسباب التاريخية للهجرات العربية الكبرى . فألف الاستاذ السيد محب الدين هذا الكتاب وعرض على أنظار القراء صورة صحيحة لاتجاه الموجات العربية منذ ستة آلاف سنة نحو العراق والشام خاصة والبلاد السامية عامة وأثبت فيه ان اصل الكلدانيين والفينيقيين من العرب . فالكتاب كما ترى من أجود ما كتب في تاريخ العرب وفلسفة نهضاتهم والحامل لهم على انبعاث موجاتهم الكبرى لا سيما الموجة المحمدية الاخيرة التي غمرت وجه العالم المتمدن في عصر ظهورها . ولا جرم ان يحل الكتاب محله اللائق به من نفس كل محب للتاريخ العربي المجيد .

(له)

كتاب تحفة الاريب

« بما في القرآن من الغريب »

تأليف ابي حيان الاندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ طبع في مطبعة الإخلاص بحماه سنة ١٩٢٦ في نحو ١٥٠ صفحة

لا تخفى منزلة مؤلف هذا الكتاب بين أئمة اللغة والأدب كما لا تخفى الحاجة الى هذا الكتاب على احد من الفضلاء اليوم . لاسيما متولي شؤون التربية والتعليم في البلاد العربية فان الطالب اثناء مدارسة القرآن وتفهم معناه قد تمر معه كلمة من غريبه تخفى عليه او على استاذه والرجوع الى هذه الكلمة في كتب اللغة ليس من الحزم في شيء اذ ان لغريب القرآن معاني لا يصح الرجوع اليها الا في كتب التفسير ، ومراجعة ذلك في كتب التفسير فيه صعوبة لا تخفى . فلم يبق امامنا الا ان توضع كتب خاصة في تفسير غريب القرآن تفسيراً موجزاً يناسب الطلاب وقد وضعت عدة كتب في هذا المعنى ولكن اوفاها بالحاجة كتاب ابي حيان هذا الذي سماه تحفة الاريب . لاحظ كل ماذكر الاستاذ العلامة الشيخ محمد سعيد النعساني مفتي حماه فانبرى لنشر هذا الكتاب وزاده فائدة بان كتب عليه تعليقة بيّن فيها اوجه القراآت السبع مع ذكر ما أغفله المصنف من غريب القرآن . وعهد الى اخيه الفاضل الشيخ طاهر النعساني بتصحيح الكتاب وضبطه والوقوف على طبعه . فالشكر لهما مذ أسديا هذا الكتاب . الى المحتاجين اليه من أساتذة وطلاب . (له)

كتب ورسائل مختلفة

(١) رواية الثورة الدرزية في الاراضي اللبنانية للسيد الياس جرجس شبل ابي نادر طبعت في المطبعة التجارية السورية الامريكية في نيويرك ١٩٢٦ ص ٦٢ .

(٢) إبنة المملوك رواية مصرية تاريخية تمثل فجر نهضة مصر ايام محمدعلي بين سنتي ١٨٠٤—١٨٠٧ ! جزآن في مجلد واحد تأليف الاستاذ السيد محمد فريد ابو حديد طبعت بمطبعة الاعتماد بمصر ١٣٤٥ — ١٩٢٦ ! (ص ٤٣٥) .

(٣) « بسائط الطيران » تأليف الدكتور احمد عبد السلام الكرداني طبع مصوراً بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٤ — ١٩٢٥ (ص ٧٦) .

(٤) « خطرات الماضي واحلام المستقبل » مجموعة ادبية اجتماعية أخلاقية تأليف السيد عزت مقدم طبعت بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام ١٣٤٥ — ١٩٢٧ (ص ٤٨) .

═══

هدية مطبعة المعارف

أهدى السيد نجيب متري صاحب مطبعة المعارف ومكتبها بمصر الى المجمع العلمي العربي واحداً وعشرين كتاباً من مطبوعاته التي ظهرت حديثاً منها :

(١) كتاب وصف الآثار المصرية وسير مشاهير الرجال تأليف السيد محمد عبد الحليم عامر وفهمي فرج داود طبع سنة ١٩٢٦ في ١٣٠ صفحة صغيرة مصور . (٢) النيل في عهد الفراعنة والعرب تأليف السيد انطون زكري طبع سنة ١٩٢٦ في ١٦٦ صفحة متوسطة مصور . (٣) السعادة والسلام تأليف اللورد افبري وتعريب السيد وديع البستاني وهو الطبعة الثانية سنة ١٩٢٦ في ١٣٢ صفحة صغيرة . (٤) معنى الحياة تأليف اللورد افبري وتعريب السيد وديع البستاني وهو الطبعة الثالثة سنة ١٩٢٦ في ١٢٧ صفحة صغيرة . (٥) جناية اوربا على نفسها والعالم تأليف السيد احمد فهمي طبع سنة ١٩٠٦ في ١٩٧ ص متوسطة . (٦) ابطال الحرية بقلم انطون الجميل طبع سنة ١٣٢٧ هـ في ٤٩ ص متوسطة مصور . (٧) رواية الصديق المجهول تأليف السيد نقولا حداد في ٢٤٨ ص متوسطة . (٨) رواية الاثنان تعريب صالح جودت طبعة سنة ١٩٢٤ وهي في ١١٥ ص . (٩) رواية فتاة مصر تأليف الدكتور يعقوب صروف في ٤٩١ ص متوسطة . (١٠) رواية القضاء السهري تعريب قيصر شميل طبعة سنة ١٩١٠ . (١١) رواية السموأل او وفاء العرب تأليف السيد انطون الجميل طبعة سنة ١٩٠٩ في ٩٥ ص متوسطة .

وغير ذلك من الروايات الأدبية العصرية فالمجمع العلمي يشكر اريحية هذا المفضال هديته النفيسة في سبيل العلم والأدب .